

روايات عربية للجيب

مختار



٢٥

٢٠٤

قضية حرب المخابرات

سلسلة القار بوليسية مشهورة للناشرين



www.liilas.com/

www.liilas.com/vb3

^RAYAHEEN^

مساء ع × أدوات

سلسلة الغاز بوليسية مشيرة للناسيين
تتمتع المشعل وتسمى الشكر و الذكاء ..



المؤلف



د. نيل فاروق

قضية حرب المخاضات

- قضية حربية هذه الزمان
تتمتع بين قبل الحربية
والسجلات المحبولة من
السطوات الكمبيوتر ،
ولغز عجيب ، وأحدث
عجبة قلبية ، وحرب
شعواء ، لحمل اسم (حرب
المخاضات) ..
- ثوى .. كيف يحل فريق
(٢ × ٢) لغز هذه القضية
الجديدة ؟
- اقرأ التفاصيل ، وحاول أن
تسبق (الفريق) إلى حل
المفزع .



الأسئلة العربية الحديثة
الطبعة والنشر الأولى
٢٠٠٠

العدد القادم

(قضية العالم المفقود)

التمتع في مصر
وما يعادله بالدولار الآخرى
في سائر الدول العربية .

٢ × ٤

سلسلة ألفاز بوليسية ، تجمع ما بين
الغموض والإشارة والحركة ،
وتسبح بنا - في كل مرة - في عالم
جديد ، يسعى كل أبطاله - على
اختلاف ألوانهم - إلى مكافحة
الجريمة ، والسعى إلى تحقيق
العدالة ، وجميعهم يحملون شعاراً
واحداً.. شعار (٢ × ٤)

د. نبيل فاروق

١ - الرسالة ..

هطلت الأمطار طويلاً في تلك الليلة ، من ليالى الأسبوع الأول من فبراير ، وبدت (القاهرة) في منتصف الليل - حينما انتهى (عصام) من عمله في الجريدة ، واستقل سيارته الصغيرة ، في طريق العودة إلى منزله - بدت أشبه بمدينة مهجورة .. فالشوارع خالية من المارة تماماً ، والنوافذ مغلقة مظلمة ، في كل البنايات المطلة على الطريق ، والسكون يحيم على المكان ، إلا من صوت قطرات المطر المتساقطة في غزارة ..

وخفض (عصام) سرعة سيارته ، وهو يعبر الشوارع الخالية ، خشية أن تتزلق إطاراتها ، ويفقد سيطرته عليها ، وسط المياه التي أغرقت الشوارع ، وتعم في سخرية ، وهو يضع أحد الأشرطة الموسيقية في جهاز التسجيل والاستعادة في سيارته :

.. يا لها من ليلة !!... كان ينبغي أن أطلب بدل طبيعة عمل خاص ، ماداموا يصرون على عودتي إلى منزلي ، في هذا الوقت المتأخر ..

اتبع صوت الموسيقى الحادثة داخل السيارة ، فسرى
الارتياح في غلبائه ، وراح يندندن نفس اللحن بشغفه ،
ويلحق ذلذذته بصفير منطوم ، يتناسق مع اللحن الموسيقي ،
ويبعث في عروقه الدفء والارتياح ..

ولفجأة .. توقفت مساحة الزجاج الأمامي للسيارة ،
وبدأت قطرات المطر تغمر الزجاج ، وتنزل في فوقه ، صاعدة
عيوطاً من الانعكاسات الضوئية ، جعلت (عصام) يتوقف
عن الصفير ، ويعقد حاجبيه ، وهو يفهم في حق :

— لقد أسأت اختيار موعد التوقف بإسباتي العزيرة .
دفع وجهه إلى الأمام ، حتى كاد أن يلامس الزجاج
الأمامي للسيارة ، وهو يحاول مواصلة السير بها ، معتمداً على
ما تلتقطه عيناه ، وسط عيوط المياه المترافقة على الزجاج ،
إلا أنه لم يلبث أن أبقر من استحالة ذلك ، فأوقف سيارته على
جانب الطريق ، وهو يفهم في سخط :

— يبدو أنني سأفكر جدّياً في طلب بدل طبيعة العمل
هذا .

ثم تنهّد في حلق ، وغادر السيارة ، ووقف تحت المطر ،
يحاول معالجة مساحة الزجاج دون تجلوى ، حتى هتف في
عصية :

— لن يمكنني أن أفضي الليل هنا ، أيتها السيارة اللعينة ..
أليس كذلك ؟

وتلفت حوله ، وهو يستطرد في جدة :

— ومن الواضح أنني لن أجد أحق واحداً ، يخاطر
بالخروج في مثل هذه الظروف .. سوى بالطبع .

لم يكذب يتم عبارته ، حتى توقف بصره عند مشهد
أدهشه ..

مشهد رجل التدفع فجأة من طريق جانبي ، وراح يغذو
نحوه بأقدام متخططة ، وهو يبدو في غلظه أقرب إلى الترحيح ،
منه إلى القوة ..

وكان من الواضح أن الرجل يتجه إليه ..
إليه بالذات ..

وقبل أن يتخلّى (عصام) عن دهشته ، أو يفارقه تأثيره ،
هتف به الرجل بالإنجليزية ، وهو يلوح يده في إنباك واضح :

— سيدي .. هل يمكنك أن ... ؟ .. أن ... ؟

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يحلف في جزع :

— ماذا .. ماذا هناك ؟ .. ماذا بك ؟

ثم لم يلبث أن تنبه إلى أنه يسأل الرجل بالعربية ، فعاد يهتف
بالإنجليزية :

— ماذا يحدث ؟ .. هل ؟ ..

توقف السؤال في حلقه ، وبلغ اتساع عينيه ذروته ، حينما
انصب — لأول مرة — إلى بقعة الدماء الكبيرة ، التي تلوث
معطف الرجل ، في موضع الصدر ، والتي يتوسطها ثقب
محرق الأطراف ، فراجع وهو يهتف في دُغر :

— يا الهي !! .. يا الهي !!

تشبث به الرجل ، وبدأت ملامحه الأجنبية واضحة ، وهو
يحذق في وجهه بعينه الزرقاوين ، هاتفا في ألم وتوتر :

— إيهم يلاحظوني .. ينبغي أن تبعد قبل أن .. أن ..

كان من الواضح أن آلام الرجل المرححة ، وإصابته الخفيفة
بمتاعنه من التركيز ، ومواصلة الحديث ، وأن دُعر (عصام)
قد بلغ مبلغا لم ينته من قبل ، وهو يهتف في صوت مُخثق ،
وبالعربية :

— من هؤلاء ؟ .. ماذا يحدث بالله عليك ؟

ازداد الرجل تشبثا به ، وبدأ مهالكا ، شاحبا ، حتى أنه
صار من العسير تمييز لون شعره الأشقر ، من لون بشرته ،

وهو يلتقط من جيب معطفه مطروفا صغيرا ، ويحاوله
ل (عصام) ، قائلا في لجة :

— تحذ هذا .. احتفظ به جيدا . ولا تدعهم يحصلون
عليه ، أيا كان الثمن .

هتف (عصام) بالإنجليزية مرتبكة متلعثمة :

— وماذا أفعل به ؟

أجابه الرجل في انفعال ، وهو يقاوم الآلم في بسالة :

— تحذار أن يدرك أحدهم أنك تحتفظ به .. اذهب به

إلى .. إلى ..
وفجأة .. ودون أن يرد في المكان أى صوت إضافي ،

جمعت عينا الرجل في ذهول وألم ، واندفع رأسه ، ليرتطم
بصدر (عصام) ، وصراخ أطرافه ثائنا ، فهتف

(عصام) ، وهو يحاول أن يدفع رأس الرجل عن صدره :

— إلى أين أذهب به ؟ .. إلى أي .. ؟ ..

احتبست الكلمات في حلقه ، واتسعت عيناه في رُغب

هائل ، حينما تحسست أصابعه ساللا لزجا ، يسيل من مؤخرة

رأس الرجل ، ويخرج بمياه المطر ، التي تبلل شعره ..

٢ — اهرب .. من أجل حياتك ..

لم يكن الأمر يحتاج الى الكثير من الذكاء ؛ ليدرك
(عصام) خطورة الموقف ..

نظرة واحدة إلى كاتفى الصوت ، اللذين يزيّجان قُوَّتهِ
المُسَدِّسَيْن ، جعلته يفهم كل شيء ..

أو بمعنى أدق ، يفهم كيف نُقِلَ الأجنى ، الذى كان
يستجده ..

ولم يكن هناك ما يكفى من الوقت ، للتساؤل عن سبب
مقتله ، أو سرِّ الرسالة التى تركها له ..

كان الوقت يكفى للهرب فقط ..

الهرب من أجل الحياة ..

ولم يتروّد (عصام) لحظة واحدة ..

كان يعلم أن إدارته تحرّك سيارته سيصبح أكثر صعوبة ،
من استنباط نظرية جديدة فى علوم الدُّرّة ، وهو يعانى كل
ذلك التوتر ، وتلك العصبية ، إلى جانب رُغْب هائل عيف ،
لذا فقد دفع (عصام) جِلّةَ الأجنى بعيدا ، وانطلق يعدو
بكل ما يملك من سرّعة ..

وقبل أن يرفع (عصام) كَفِّه ، ويحدّق فى السائل ، الذى
لَوَّث أصابعه ، كان قد أدرك طبيعته ..

كان قد أدرك أنه سائل الحياة ..

الدم ..

وفى صوت مُخْتَبِق ، مرتبك ، مدعور ، هتف
(عصام) :

— يا إلهى !!

ولجأة .. تحطّم زجاج سيارته فى صوت مسموع ، ورفع
هو عينيه إلى مدخل الشارع الجانبى ، الذى برز منه الرجل ،
فى رُغْب ، وبلغ هذا الرُغْب أوجَه ، حينما انطبعت فى عيني
(عصام) صورة مُفْزَعَة ..

صورة رجلين ضخمى الجفّة ، يرتديان معطلين من معاطف
المطر ، ويمسك كل منهما مسدّسا ضخما ..

وكانت قُوَّةُ المسدّسَيْن مصوّبة إلى هدف واحد ..

إلى رأس (عصام) ..

بلا لحظة ..

بلا هدف ..

كل ما دار في ذهنه هو هتاف واحد ..

هزّب يا عصام ..

هزّب من أجل حياتك ..

وتحوّلت قدماه إلى آلة للغدو ، وتحوّل قلبه إلى مضخة ؛

لتغذية هذه الآلة في قوّة وعنف ..

وإلى جوار أذنه مرّت رصاصة صامتة ..

وفوق خصلات شعره غير المنتظمة مرّت أخرى ..

وباصل هو غلّوه ..

لم يلفت خلفه ، ليعلم إلى أي مدى وصل مطارّوه ..

ولكنه سمع أصوات أقدامهم خلفه تقترب .. وتقترب ..

وتقترب ..

وتحرف (عصام) فجأة في طريق جانبي ، وانقطعت

رصاصة أخرى بخافة المنزل المجاور له ، وثارت بعض الرذاذ

والخطام على وجهه ، فشهق في دُعر ، وانحنى « ليعبر مدخل

أول بنّاية صادقه ، وراح يقفز درجات سلّمها في دُعر

وسرعة ، وسمع صوت الأقدام يعبر مدخل البنّاية ، ويواصل

مطارّاته ، فزاد من سرعة غلّوه ، بعد أن كان يتصوّر أنها قد

بلغت أقصاها ..

ولجأة .. وجد نفسه فوق سطح البنّاية ، فاندفع إليه ، ثم

لم يلبث أن عاد أدراجه ، وأغلق الباب المؤدّي إلى السطح في

إحكام ، ثم راح يتطلّع حوله في دُعر ، باحثا عن وسيلة

للتفرار ، ولكنه وجد نفسه وكأنّه فأر دخل إلى البصيدة

بقدميه ..

كانت أسطح البنّانات المجاورة بعيدة ، لا يمكنه أن يقفز

إليها ، مهما بلغت مرونته أو قوته ، والسطح الذي يقف فوقه

خالٍ من أي بروز ، يمكنه أن يغطّي خطفه ، ومطارّوه يدفعون

بأبه في قوّة وغنّف وإصرار ، وهو وحده حائر ، ملّاح ..

ثم ارتفع ذوقه ميكوم ، ومرّت ثلاث رصاصات غير

الباب الخشبي ، حول مزلاجيه ، وبات من الواضح أن

مطارّديه يصرون على التّيل منه ، مهما كان الثمن ، فاندفع نحو

حاجز السطح ، باحثا عن مخرج ، ولم يجد أمامه سوى ماسورة

ضخمة ، من مواسير الصّرف الصحيّ ، فصعد فوق حاجز



كل ما فعله (عصام) هذه المرة هو أن صرخ ، ودفع جسده جانبا .
وسمع صوت الرصاص ، وهي ترتطم بجدار الماسورة ..

السطح ، وتشتت بها ، وأخذ ينزلق عليها هابطا ، وهو يشعر
بزغب هائل ، مخافة أن تفلت يده ، فيبوى من ارتفاع خمسة
طوابق ، في حين بلغ مسامعه صوت باب السطح وهو
يتحطم ، وصوت أقدام تملأ داخله ، لم تلبث أن توقفت
لحظة ، وكأنها دهش أصحابها لعدم وجوده هناك ، قبل أن
تدفع الأقدام نحو النقطة التي هبط منها ..

واتلصص جسد (عصام) في شدة ، وكادت قبضته تفلتان
من على الماسورة ، التي يتشبث بها ، حينما سمع — من فوق
رأسه — هتافا بلغة لم يفهم حتى مصدرها ، وإن أدرك على
الفور أن الهتاف يعني رؤية صاحبه له ..

وفي حركة حادة متولقة ، رفع (عصام) عينه إلى أعلى ،
وهبط قلبه بين قدميه ، فقد رأى هناك ، على خافة الحاجز ،
وجهها صارخا قاسيا يتطلع إليه ، وفؤهة مسلح مزود بكاتم
للصوت منصوبة إلى رأسه غامقا ..

كل ما فعله (عصام) هذه المرة هو أن صرخ ، ودفع
جسده جانبا ، وسمع صوت الرصاص ، وهي ترتطم بجدار

٣ — اللَّص ..

كان المطر قد تولف تقريباً ، ما عدا رذاذاً خفيفاً ، حينما تولفت سياراة العقيد (خيرى) ، فى الواحدة والنصف صباحاً ، أمام تلك البناية ، إلى جوار مبنية شرطة عالية ، إلا من سائقها ، الذى كان يجلس داخلها خاملاً ، والذى هب من فوره ، حينما لمح العقيد (خيرى) ، ورفع يده بالصيحة العسكرية فى احترام ، وهو يقول :

— سيادة الرائد (سمير) ، ينتظر سيادتكم فى الطابق الخامس ياسيدى .

أجاب العقيد (خيرى) بحمته العسكرية فى هدوء ، ودون أن ينس بينت شقة ، وراح يصعد الطوابق الخمسة فى سرعة ورشاقة ، حتى بلغ شقة مضاءة فى الطابق الخامس ، اجتمع أمامها معظم سكّان البناية ، الذين تطلّعوا إليه فى توتر ، وهو يعبر باب الشقة ، حيث استقبله الرائد (سمير) ، وأدى التحية العسكرية ، وهو يقول :

— صباح الخير ياسيادة العقيد .. معلومة ، لإيقاظك فى مثل هذا الوقت ، ولكننا ألقينا القبض هنا على لص منازل ،

الماسورة ، وتلصص فيها ، وسرت فى جسده فتشربيرة ، وهو يتخيل حجمته فى موضع الماسورة المسكينة ، ثم شعر — مع اندفاعه جانباً — بظهره يرتطم بحاجز زجاجى ، ويهشمه ، ثم وجد نفسه يواصل الاندفاع ، ويداه تتخلجان عن الماسورة ، على الرغم منه ، وشعر بالآلام مبرحة فى ظهره ، وكأنها كانت هناك عشرات الحناجر تمزقه ، وهوى جسده ..

لم يجر من ارتفاع خمسة طوابق ، كما كان يتوقع ، وإنما من ارتفاع متر ونصف فحسب ..

هوى داخل حمام منزل أنيق ، وارتطم بأرضيته الباردة فى دوغى هائل ، ومضت لحظة ، وهو يسقط على ظهره ، يحدق فى نافذة الحمام فى ذهول ، حتى بلغ مسامعه صوت أقدام تركض مقتربة منه ، فنهض فى سرعة ، وتعلق بصره بباب الحمام ، الذى انفتح فى عنف ، وامدّت منه يد أعضاء مصاحبه ، الذى غمر عيني (عصام) بالضوء ، فأغلقهما لحظة ، ثم عاد يفتحهما فى ببطء ، لتواجهه فؤهة مسلّس صغير ، ويصلك مسامعه صوت صارم يقول :

— لا تتحرك ، وإلا أطلقت النار .

وفى هذه المرّة ، استسلم (عصام) ..

أصرّ على طلب حضورك ، مدعيًا — معذرة — أنه تربطه
ببإدراك صلة صداقة .

ابسم العقيد (خيري) ، وهو يقول في هدوء :

— ولو أنه الشخص الذي أتوقعه ، فيكون ادعائه
صحيحًا بعض الشيء .

لفر الرائد (سمير) فمه في دهشة ، وهو يحلف :

— ماذا ؟؟

استعت ابسماعة العقيد (خيري) ، وهو يقول :

— لا تعمل الدهشة أيها الرائد ، فأنا لم أراه بعد .

الندفع رجل وفور ، في أوائل الخمسينات من عمره ،
يحلف في انفعال :

— مستحيل بإمادة العقيد .. إنه لصّ وضيع ، لقد

البحم عصام المنزل في وقاحة شديدة ، وأصابني وزوجتي بهلع
رهيب .. ومن يذري ماذا كان يمكن أن يعلله بنا ، لو لم أسرع
بضبطه ، وتهديده بمسدسي ، حتى أبلغت زوجتي المتابعة
الشرطة ؟

رئت العقيد (خيري) على كفه مهذّنًا ، وهو يقول :

— بلا شك .. بلا شك .. أين هو ؟

أشار الرائد (سمير) إلى حجرة جانبية ، وهو يقول :

— لقد أثبت الواقعة ، وحجزته تحت حراسة رجلين ،

في حجرة الجلوس ياسيدي .

اتجه العقيد (خيري) نحو حجرة الجلوس في هدوء ،

وهو يقول :

— حسنًا .. دعنا نلقى نظرة عليه .

وفي بساطة .. دلف باب حجرة الجلوس ، وارتسمت

على شفاهه ابتسامة واسعة ، وهو يتطّلع إلى (عصام) ،

قائلًا :

— كيف حالك يا د عصام ؟؟ .. لقد كنت أتوقع ذلك .

هَبَّ (عصام) من مقعده ، وهو يحلف في انفعال :

— كيف حالي ؟؟ .. ياله من سؤال !.. إنني كما ترى ،

مُهمّهم بالسطور على منزل آمن ، وأجلس — كاللصوص —

تحت حراسة شرطين .

لفل الرائد (سمير) عييه في دهشة وخبرة ، بين

(عصام) والعقيد (خيري) ، ثم سأل الأخير في توتر :

— هل .. هل تعرفه حقًا ياسيدي ؟

أوما العقيد (خيري) برأسه إيجابيًا ، وقال في هدوء ،

بجمل رثة امرأة :

— نعم أيها الرائد ... لحد شرطيتك خارجا ، واتركني معه
وحدنا بعض الوقت .

عاد الرائد (سمير) ينقل بصره بينهما في خيرة ، ثم أجاب
في خفوت :
— كما تأمر بإسادة العقيد .

وأشار إلى الشرطتين ، فخلضا فؤدهن مدفتيهما ،
المصوتين إلى (عصام) وتبعاه إلى الخارج في استسلام ،
وانظر العقيد (خيرى) حتى أغلقا الباب خلفهما ، ثم شبك
أصابع كفيه أمام وجهه ، وقال لـ (عصام) في هدوء :
— اجلس ، وأخبرني أنه حمامة جديدة ، أوقعت بك في
مثل هذا المأزق .

جلس (عصام) ، وهو يقول في توثر :
— ليها كانت حمامة هذه المرة .

غمغم العقيد (خيرى) في هدوء :
— حسنا .. كلنى أذان صاغية .

تهَّد (عصام) في علق ، ثم اندفع يزوى له ما حدث ..
ولكنه ، ودون أن يدرك السبب ، تعمَّد إخفاء أمر
الرسالة ، التي سلمه إليها الأجنبى قبل مصروعه ، واكفى

بذكر مقتلته المفاجئ ، ومطاردة الرجلين له ، حتى وصل إلى
القحامه الاضطرابى للمنزل ، وإلقاء القبض عليه ، واستمع
إليه العقيد (خيرى) في هدوء ، ودون أن يقاطعه مرَّة
واحدة ، ثم ليث صامتا بعض الوقت ، وقد زوى ما بين
حاجبيه مفكِّرا ، قبل أن يقول في هدوء :

— إنها قصة عجيبة بالفعل يا (عصام) ، ولر أنبأى بها
شخص غيوك ، ما صدقت كلمة واحدة منها ، ولكنى أميل
إلى تصديقك ، فأنا أدرك جيِّدا جودة معدتك .

هتف (عصام) في انفعال :

— هالك أكثر من دليل يؤكد صدق روايتي هذه المرَّة .

أوما العقيد (خيرى) برأسه موافقا ، وقال في هدوء :

— بلاشك .. لياك السطح الخطم ، وأثر الرصاصة في

الماسورة ، وزجاج سيارتك المهشم ، كل هذه أشياء يُمكن
التأكد منها في بساطة .

هتف (عصام) :

— وجكَّة الأجنبى الثقيل ؟

مطَّ العقيد (خيرى) شفتيه ، وهو يقول :

— لا اظن أننا سنجد لها حيث تركتها .

ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يغمغم في تولد :

— هل تظن أنهم .. ؟

لم يكمل سؤاله ، ولكن العقيد (خيرى) أجابه في

هدوء :

— ماداموا قد حاولوا خلك بكل هذا الإصرار ، فهذا

ينبئ أنهم يريدون إعفاء الأمر بالطبع .

ثم عاد يشبك أصابع كفيه أمام وجهه ، وهو يستطرد في

اهتمام :

— ولكن هذا لا ينفي أنك متورط بالفعل في حادث

سطو .

زهر (عصام) في تولد ، وهو يقول :

— أعلم ذلك .

ثم استطرد في رجاء :

— ألا يمكن تسوية الأمر ؟

مط العقيد (خيرى) شفيه مرة أخرى ، وهز رأسه بحدّة

وسرّة ، وهو يقول :

— قانونا مستحيل .. فلقد التحمت الشقة بالفعل ،

وصاحبها بصّر على اتهامك .

هف (عصام) في تولد :

— ربما لو شرحنا له الأمر ..

قاطعته العقيد (خيرى) ، وهو يتسم قائلا :

— وهل تظن أن أحدا غيري سيصدق قصتك ؟

تهفد ، وهو يقول في إحباط :

— هناك الأدلة ، التي ذكرتها لك .

هز العقيد (خيرى) ، رأسه نفيا ، وقال :

— كلها يمكنها أن تغلب ضدك ، فيقال إن باب السطح

كان مغلقا ، وأنت أنت حطمته لتدلف إلى السطح ، وتزلق

على الماسورة ، هابطا إلى هذه الشقة ، وإن الرصاصة التي

أصابت الماسورة قد انطلقت من مسدسك أنت ، قبل أن

تقتحم الشقة ، وربما ذهب وكيل النيابة إلى القول بأن

مسدسك قد سقط ، حينما كنت تحطم الزجاج ، ولقد و

قاطعته (عصام) في مرارة :

— إذن فلا توجد وسيلة .

هز العقيد (خيرى) رأسه نفيا ، ثم ضاقت حدقاته ، وهو

يغمغم في اهتمام :

— رُبما لو

هتف (عصام) ، وقد انتعش الأمل في صدره :

— لو ماذا ؟

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يتسم ، قائلا :

— هناك محاولة أخيرة ، قد تجدى ، حينما يعجز القانون .

وفتح باب الخجرة ، وأشار إلى صاحب المنزل الوقور

وزوجه ، وهو يقول في هدوء :

— هل تسمحان بالانضمام إلينا ؟

توقد الرجل وزوجه لحظة ، ثم انقيا إلى حجرة الجلوس ،

وتعلق بصراخهما بـ (عصام) في تولر ، على حين أغلق العقيد

(خيرى) الباب ، والتفت إليهما قائلا :

— هل تصدقانى ، لو أخبرتكما أن هذا الشاب ليس

إصفا ؟

هتفت الزوجة في عناد :

— كلا .

ل حين غمغم الزوج في تولر وهو يرمق (عصام)

بنظرة خبيرة :

— كيف ؟.. لقد اتحم منزلى بعد منتصف الليل و

قاطعه العقيد (خيرى) ، وهو يشير إلى (عصام) ،

قائلا :

— هل تعرفان هذا الشاب ؟

هز الزوج رأسه نفيا ، في حين غمغمت الزوجة في جدّة :

— لم تسبق لنا رؤيته .

اسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

— ولكن رُبما قرأنا بعض تحقيقاته ، فهو صحفي شهير ،

ل عالم التحقيقات البوليسية ، ويُدعى (عصام) .

حدق الزوجان في وجه (عصام) في ذهول ، وهتفا في

آله واحد :

— (عصام كامل) ؟

اتسعت ابتسامة العقيد (خيرى) ، وهو يقول :

— بشحمه ولحمه .. لقد كان يصدد إعداد تحقيق

جديد ، بطارد خلاله مجرماً بالغ الخطورة ، حينما حدث خطأ

غير مقصود و

لم يتم عبارته ، فقد هتفت الزوجة في صوت متبحر ، أثار

دهشة (عصام) :



حذق (عصام) في وجهها بدهشة ، في حين أردفت هي في لفظة :
 — إنك ستذكر انصامك لشفتنا في تحقيقك القادم ..

— غير معقول !!

ثم اندفعت نحو (عصام) فجأة ، تصافح في حرارة
 أذهله ، وقد تألفت على وجهها ابتسامة فرحة ، وهي تهف
 في حرارة :

— أساذ (عصام) ، إنني أتابع تحقيقاتك في شغل ،
 وأحفظ بها كلها ، ولقد عثيت ذمًا أن أنفي بك .
 فمعلم (عصام) في دهشة :

— كنت أظن لو أننا التقينا في ظروف مختلفة و...
 فطقت في حماس :
 — على العكس .

حذق (عصام) في وجهها بدهشة ، في حين أردفت هي
 في لفظة :

— إنك ستذكر انصامك لشفتنا في تحقيقك القادم ..
 ليس كذلك ؟
 أجابها في خيرة :

— بالطبع .. وسأتحمل تكاليف إصلاح النافذة و...
 فاطعته وهي تلوح بكفيها في حماس :

— هذا لا يهم .. إن ذكر اسمي في واحد من تحقيقاتك الرائعة يكفي .. إنه سيثير حسد كل رفاق النادي .
والفقت إلى زوجها ، مستطردة في سعادة :
— أليس كذلك يا (ولىق) ؟
عقد حاجبيه ، وهو يغمغم :
— بل يا عزيزي .
أغلقت عينيها ، وهي تنضم كفتها أسفل ذقنها ، وتقول في نشوة :

— وسأذكر في تحقيقك بأستاذ (عصام) أننا كنا نعلم الأمر منذ البداية ، وأنا قد تنازلنا عن اهتمامك لتعاونك على أداء مهنتك و ..
النفط (عصام) عيط الحديث ، وهو يقول في لفظة :
— بالتأكيد .. وبإضافة صورة أيقنة لك مع زوجك يا سيدى ، سيكتمل التحقيق ويبرز دوركما البطولتي فيه .
انطخت أوداج الزوج ، وهو يردد في حماس :
— نعم .. دؤرنا البطولتي .
ثم استدار خارجاً ، وهو يردد في نفس الحماس :
— سأتنازل عن الاهتمام .. هكذا تكون البطولة .

٤ — المفاجأة ..

(لمر (عصام) في أرياح ، وهو يستقل سيارة العقيد (خورى) ، إلى جوار هذا الأخير ، الذى أدار محرك سيارته ، وهو يتسم قاللاً :

— هل رأيت كم تفيد الشهرة في بعض الأحيان ؟
تفهد (عصام) ، وهو يقول :
— لقد كانت فكرة بالغة الذكاء والجذوق يا سيادة

العقيد .

غمغم العقيد (خورى) ، وهو يطلق سيارته :
— كانت الوسيلة الوحيدة الممكنة ، دون أن يخالف القانون .

ثم استطرد في اهتمام :

— والآن أين تركت سيارتك ؟

أشار (عصام) أمامه ، وهو يقول في إرهاق :

— المحرف يساراً في نهاية ذلك الشارع ، وسير حتى بداية

الطريق الرئيسى ، وسنجدها عند المتعطف هناك .

أوماً العقيد (خورى) برأسه إيجاباً ، وقال وهو ينحرف

بسيارته يساراً :

— إن آثار تحطّم الباب ، وثقب الرصاصة في الماسورة واضحة يا (عصام) ، ولكننا لا نعلم بعد لماذا ارتكبت هذه الجريمة ؟

مرة أخرى وجد (عصام) في أعماقه دافقا عظيمًا ، يبعده من ذكر أمر الرسالة ، التي سلّمه إليها الأجنبي ، فلمعظم في هدوء :

— ربّما كشفنا السرّ بعد فحص جثة الأجنبي ، و.....
بتر عبارته فجأة ، وهو يحدّق أمامه في ذهول ، ويهتف في

غزع :

— يا إلهي !!
سأله العقيد (خيرى) في تولّر :

— ماذا حدث ؟

هتف (عصام) في ارتياح :

— سيّارتى !!.. لقد احتقت !

توقّف العقيد (خيرى) حيث أشار (عصام) ، وهبط مع هذا الأخير من سيّارته ، وتطلّع كلاهما حوله في دهشة ، قبل أن يهتف العقيد (خيرى) :

— أأنت والحق من أنها كانت هنا ؟

هتف (عصام) في غزع :

— تمام الثقة .

ثم أشار إلى الأرض ، مستطرذا في تولّر :

— انظر مسجد بقايا زجاجها الأمامى المهشم ، وآثار دماء الأجنبي القليل .

تطلّع العقيد (خيرى) إلى حيث أشار ، وقال :

— هذا صحيح .

ثم عاد تطلّع حوله ، مستطرذا :

— لقد أخطت جثة القليل ، وسيّارتك أيضًا .

هتف (عصام) في سخط :

— من الطبيعي أن يحاولوا إعطاء جثة القليل ، ولكن

ما شأنهم بسيّارتى ؟

أجاب العقيد (خيرى) في تفكير :

— ربّما استخدموها لنقل الجثة من هنا .

صاح (عصام) في غضب :

— هل يتوّن توريطى في جريمة قتل أيضًا ؟

هزّ العقيد (خيرى) كتفيه ، وقال :

— يمكنك أن تتلاق ذلك بالإبلاغ عن سرقته على الفور .

هتف (عصام) في حدة :

— سأفعل بالتأكيد ، وأرجو أن ألتقي سياري

الصفيرة ، بزجاجها العظيم ، فاستبدل الزجاج أهون كثيراً
من شراء سيارة أخرى بالتأكيد .

لبث العقيد (خيرى) صامئاً ، يفكر بعض الوقت ، ثم
قال في هدوء .

— حسناً .. ليس لدينا الآن ما نفعله ، سنبلغ عن سرقة
سيارتك ، ثم أوصلك إلى منزلك .

عاد (عصام) يستقل سيارة العقيد (خيرى) إلى
جواره ، وقال العقيد (خيرى) في هدوء ، وهو يتطرق
بالسيارة :

— من حسن حظك أننا الآن في الساعات الأولى من يوم

الجمعة ، وسيمكنك أن تلتقي بـ (عماد) و (علا)

التفت إليه (عصام) في دهشة ، فاستطرد هو بنفس
الهدوء :

— مادام هناك لغز ما ، فأنا أعلم أنك ستلتقي بهما إن
عاجلاً أو آجلاً ، ولكن قبل أن تفعل ، أحب أن أحصل منك
على وعد صريح .

غمغم (عصام) في عجل :

— وعد بماذا ؟

صمت العقيد (خيرى) لحظات ، ثم أجاب في صرامة :

— على أن يقتصر دورهما على الإدلاء بالرأى والمشورة
فقط ، والأب يتوكل في بحث القضية نفسها ، فانه (سبحانه
وتعالى) وحده يعلم ، إلى أى مدى يمكن أن تتطور هذه
القضية ، ما دام القيل والقال فيها من الأجالب .

أوماً (عصام) برأسه إيجاباً ، وقال في خفوت :

— أعدك بامسادة العقيد .. أعدك بأن أحمل وحدى كل
عواقب هذه القضية بالذات ..

كانت عقارب الساعة تشير إلى الخامسة والنصف
صباحاً ، حينما عاد (عصام) إلى منزله ، بعد أن أبلغ عن
سرقة سيارته ، وكان يشعر بإرهاق عنيف ، وهو يلتقي جسده

المكثود على فرائشه الصغير ، إلا أن هذا لم يمنعه من إدارة جهاز التسجيل الصغير ، الذي لبّته في إطار الفرائش ، لتبعث منه موسيقى هادئة مريحة ..

وداعب النوم جفنيه في إصرار ، فأرخاها وهو يحاول أن يفض عن عقله كل ذكريات تلك الليلة ، بكل ما حوته من أحداث ، إلا أن نقطة محدودة من تلك الأحداث ، طرقت رأسه في قوة ، فعاد ينتج جنينه عن آخرها ، ويعتدل جالسًا في فرائشه ، وأسرعته يده تلتقط من معطفه ذلك المطروف ، الذي أعطاه إياه الأجنبي ، قبل مصرعه ، وتحسسه في اهتمام ، وهو يغمغم :

— أئنه رسالة تحتويها باثري ؟

كان من الواضح أن المطروف يحوى شيئًا رقيقًا وصليًا في الوقت ذاته ، ولقد عجز (عصام) عن مقاومة فضوله ، وهو يفتحه ، ويلتقط من داخله أسطوانة رقيقة ، من أسطوانات الكمبيوتر ، راح يتطالع إليها في خيرة ، وهو يغمغم :

— أئنه رسالة هذه ؟

حامره فجأة شعور قوي ، بأن هذه الأسطوانة الصغيرة الرقيقة ، التي يمسكها بأصابعه ، تحوى من المعلومات

ما يستحق أن يقتل رجل من أجلها ، فأعادها في حباية إلى المطروف ، وهو يغمغم في توتر :

— يبدو أنك قد اقتحمت نفسك في عملية بالغة الخطورة يا (عصام) .

وبهض ، ليضع الأسطوانة في مكان جيد ، ثم عاد يستلقي على فرائشه ، ويحاول النوم ..

ولكن هيات ..

لقد بدأت المعركة الحقيقية ..



٥ - رحلة بحث ..

فرك (عصام) عينيه في إرهاب وهو يقول لـ (عماد)
(غلا) في حجرتهما :

— ولقد قضيت الليلة كلها مسهّداً ، أبحث عن سرّ هذه
الأسطوانة الصغيرة .

تحسّست (غلا) الأسطوانة في خزان ، وهي تقول :
— إن معلومات عن الكمبيوتر لا تتعدى كونه آلة شديدة

التعقيد ، تحتاج إلى لغة خاصة للتعامل معها .
قال (عماد) ، وهو يتطّلع إلى الأسطوانة في اهتمام :

— معرفة فحوى الأسطوانة ليست بالأمر العسير ،
بأنسية لمن يحددون التعامل مع أجهزة الكمبيوتر يا (غلا) ،

ولكن المهم هي خطوة ما تحويه .
سأله (عصام) ، وهو يميل نحوه :

— إنك توافق معي على أنها معلومات بالغة الخطورة ..
ليس كذلك ؟

أوماً برأسه يجاباً ، في حين سألت (غلا) (عصام) في
دهشة :

— ولكن لماذا أخفيت أمر هذه الأسطوانة عن أبي ؟
تهدّد ، وهو رأسه ، وهو يقول :

— لست أدري !.. ربّما خشيت أن يأخذها مني ،
فأجهل لغزها إلى الأبد .

غصم (عماد) :
— ربّما كان هذا هو الأفضل بأستاذ (عصام) .

سأله (عصام) في قلق :
— لماذا ؟

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة قلقة ، ثم أجاب
(عماد) :

— من الواضح أن هذه القضية تفوق قدراتنا هذه المرّة
حقاً بأستاذ (عصام) .

يخطر كل أثر للنوم أو الإرهاق من عيني (عصام) ، مع
انفعاله الشديد ، وهو يسألها :

— ماذا تعنيان ؟.. إنكما تبدوان لي قلقتين لأوّل مرّة ، من
البحث عن حلّ لغز ما ؟

هتخت (غلا) في تولّر :
— ألم تفهم الأمر بعد بأستاذ (عصام)؟.. ألم تفهم معنى

أن يقتل بعض الأجناب أجنبيًا ، على أرض لا تخص أحدهما ،
من أجل أسطوانة كمبيوتر ؟ ألم تقرأ في حياتك واحدة من
قصص المخابرات والجاسوسية ؟

استمع وجهه ، وهو يفهم في شحوب :

— يا إلهي !!.. هل تعيان ؟

أجابته (غلا) في تولر :

— بلا شك يا أستاذ (عصام) لقد أوقعت بنفسك في

اللون حرب لا هوادة فيها .

وأكمل (عماد) في التعلل :

— حرب المخابرات .

جلس (عصام) خلف مكتبه في الجريدة متوترًا ، شارقًا ،

وأصابعه تداعب الأسطوانة الصغيرة الرقيقة ، في مطروفيها

داخل جيبه ، وأصابع يده الأخرى تنقر على سطح المكتب في

عصية ، حتى سأله رئيسه في قلق :

— ماذا هناك يا (عصام) ؟

تطلع إليه (عصام) في دهشة ، وكأنها يلحظ وجوده
لأول مرة ، ثم لم يلبث أن أجاب في تولر :

— ما الذي جعلك تتصور أن هناك شيئًا ما ؟

جذب رئيسه مقعدًا ، وجلس إلى جواره ، ومال نحوه
بهمس في هدوء :

— لا تحاول أن تذكر يا (عصام) .. إنني أعرفك جيدًا ،

ويمكنني أن أفهم متى تكون متوترًا للغاية .. أخبرني ماذا
هناك

زفر (عصام) من أعماق صدره ، وهو يقول :

— إنني أبحث عن حل لمشكلة ما

سأله رئيسه في تعاطف :

— هل يمكنني مساعدتك ؟

هز رأسه نفيًا ، وهو يقول في حيق :

— كلاً .. لست أظن ذلك ، ف

بتر عبارته فجأة ، وبدا وكأن شيئًا ما قد اجتذب تفكيره

في غشيق ، ثم التفت إلى رئيسه ، بسأله في اهتمام :

— نعم .. ربما .. هل تعرف الرجل الذي يعمل على

الكمبيوتر الرئيسي في الجريدة ؟

رفع رئيسه حاجبه في خيرة ، وهو يقول :

— (نجدي) .. بالطبع .. إنه مهندس كمبيوتر ممتاز

ماذا تريد منه ؟

أخرج (عصام) من جيبه أسطوانة الكمبيوتر ، وهو

يقول :

— هل يمكنك معرفة لغوى هذه الأسطوانة ؟

غمغم رئيسه ، وهو يتطلع إلى الأسطوانة في تساؤل :

— أعفد ذلك .

ثم نهض مستطرقاً :

— لم لا يذهب ونسأله مباشرة ؟

تردد (عصام) لحظة ، ثم نهض وهو يتمم في حزم :

— نعم .. ولِمَ لا ؟

اجتمع مهندس الكمبيوتر (نجدي) ، وقال وهو يدرس

الأسطوانة في التجويف الخاص بذلك ، في قاعدة جهاز

الكمبيوتر :

— هذا يمكن بالطبع يا أستاذ (عصام) .

ثم أخذ يضغط أزرار الكمبيوتر ، وهو يقول :

— كل ما علينا هو ، أن نطلب من الكمبيوتر استعادة

ما تخويه الأسطوانة من معلومات ، وبعدها سيقوم هو بكل

العمل .

تعلق بصر (عصام) ورئيسه بشاشة الكمبيوتر ، التي

ظهرت فوقها كلمات بالإنجليزية ، تقول :

— مستعد .. مطلوب الكود السري .

عقد (نجدي) حاجبه ، وهو يذهب بأصابعه نحو أزرار

الكمبيوتر ، سائلاً (عصام) :

— ما الكود السري يا أستاذ (عصام) ؟

ارتبك (عصام) ، وهو يغمغم :

— هذا ما أريد منك أن تبحث عنه يا أستاذ (نجدي) .

رفع (نجدي) حاجبه في دهشة ، وهو يحدق في وجهه ،

ثم قال في جدّة :

— أبحث عنه ؟!.. أبحث عن كود سري لبرنامج كمبيوتر

خاص ؟!.. هل تشرح ؟! إن ما تطلبه أكثر صعوبة من

البحث عن إبرة في كومة من القش .

غمغم (عصام) في تولثر :
— ألا يمكننا أن نحاول على الأقل ؟

هتف (نجدي) في غضب :

— ماذا نحاول ؟ .. وبماذا ؟ .. هل تعلم ما الكود السري ؟ .. قد يكون رقماً ، أو كلمة ، أو رمزاً ، أو مزيجاً من كل هذا ، .. هل تعلم كم محاولة ينبغي بذلها ، للتوصل إلى هذا الكود السري ؟ .. يلايين المحاولات .. وقد يبلغ الأمر أكثر من ذلك ، بل قد تحتاج إلى عمرك كله ، لتصل إلى مثل هذا الشيء ، الذي تطالبني بمحاولة التوصل إليه .
وانزع الأسطوانة من الكمبيوتر في جولة ، وناولها لـ (عصام) مستطوفاً :

— لقد أعطأت جهة البحث يا أستاذ (عصام) .
عقد رئيس قسم الحوادث حاجيه في تساؤل ، وهو يتطلع إلى (عصام) ، الذي أعاد الأسطوانة إلى جيبه ، وهو يغمغم في خجل وارتباك :

— ألا توجد جهة يمكنني أن ألتجأ إليها وتعاونني على هذا ؟

هتف (نجدي) في صرامة :

— مطلقاً .



— كل ما علينا هو ، أن نطلب من الكمبيوتر استعادة ما تخويه
الأسطوانة من معلومات ، وبعددها سيقوم هو بكل العمل ..

إلا أنه لم يلبث أن عقد حاجيه ، وهو يستمره :

— اللهم إلا

سأله (عصام) في لحظة :

— إلا ماذا ؟

هز (نجدي) رأسه ، وهو يفهم :

— كلاً .. لا أعتقد أنه يمكنك أن تطلب معاونتهم .

سأله (عصام) ، وهو يتثبت به في لحظة :

— من هم بالأساذ (نجدي) ؟ .. من هم ؟

نقل (نجدي) بصره بين (عصام) ورئيسه في تردّد ، ثم

أشاح بوجهه ، وهو يفهم في ضيق :

— إدارة المخابرات العامة .

جلس (عصام) خلف مكتبه حائزاً ، وقد تضاعف ثقله

أضعافاً ، واقترب منه رئيسه ، وهو يسأله في تعاطف :

— هل يمكنك حقاً أن تعرف فحوى هذه الأسطوانة ؟

أوماً (عصام) برأسه إيجاباً ، وهو يتهدّ في غمق ، فعاد

رئيسه يسأله في اهتمام :

— أيتعلّق فحواها بتحقيق جديد ؟

تطلّع إليه (عصام) لحظة بلا انفعال ، ثم أجاب :

— أنعمم ذلك .

اعتدل رئيسه ، وهو يقول :

— في هذه الحالة يمكننا تدير الأمر .

عقد (عصام) حاجيه ، وهو يسأله في اهتمام :

— كيف ؟

لوح رئيسه بكفه ، وهو يقول :

— هل تعرف زميلنا (صالح موسى) ؟ .. إنه يرتبط

بإدارة المخابرات العامة ارتباطاً وثيقاً ، فهو يضع روايات

الجانسية ، التي يكتبها ، والتي تالت شهرة واسعة ، بعد

روايته (بكاء عيون غادرة) ، من ملفات المخابرات العامة ،

وهم يتحكونه ثقة كبيرة ، ويمكننا أن نعطيه الأسطوانة ، وعليه

أن يستغل صداقاته بهم في معرفة فحواها .

ارتجف جسد (عصام) من فرط الانفعال ، وهو يسأله :

— هل تظن أنه من الممكن أن يفعل ؟

ابتسم رئيسه ، وهو يقول :

— بلا شك .

ناولته (عصام) الأسطوانة ، وهو يسأله في طرفة :

— ومتى يمكنني معرفة الجواب ؟

التقط رئيسه الأسطوانة ، وهو ينهض قائلاً :

— سأطلب منه أن يحاول جعل ذلك في أقرب فرصة ممكنة .

هتف (عصام) في النفعال :

— نعم ياسيدى .. أرجوك .

ابسم رئيسه ، وهو يقول في إشفاق :

— اطمئن .

وغلاد الحجرة في خطوات سريعة ، ولم يكده يخفى من أمام عيني (عصام) ، حتى ارتفع زنين الخائف المجاور له ، فالتقط سماعته في حركة آلية ، ووضعها على أذنه ، وهو يقول في شرود :

— (عصام كامل) من قسم الحوادث .. من المتحدث ؟

التقط جسده : حينما جاءت الإجابة بصوت غشن أجش ،

يقول بلغة عربية ، ولكنة أجنبية واضحة :

— أين الأسطوانة ؟

بدل (عصام) جهلاً خارقاً ليسرّده جأشه ، قبل أن يقول في صوت خفلة انفعاله :

— أئمة أسطوانة ؟

أتاه الصوت الخشن الأجلش ، يقول في صرامة :

— لا وقت للبل هذه المحاورات السخيفة ، أريد

الأسطوانة ، أو

غمغم (عصام) في اضطراب :

— أو ماذا ؟

نقلت إليه أسلاك الهاتف ضحكة وحشية مقبحة ، مخيفة ، شرسة ، قبل أن يقول الصوت الأجلش في سخرية :

— أو أصنع من بقاياك شيئاً أقل حجماً ، وأكثر رقة .

امتنع وجه (عصام) في شدّة ، ووضع سماعة الهاتف في ذعر ، وهو يردد :

— يا إلهي !! يا إلهي !

ثم نهض من خلف مكتبه ، وأخذ يجمع أوراقه في عجلة ، وهتف بأحد زملائه :

— سأعجب بضعة أيام ، لضرورة قصوى .

ابسم زميله ، وهو يقول في هدوء :

— أهو تحقيق جديد ؟

هنتف (عصام) ، وهو يندفع خارجاً :

— نعم .. نعم .. هو كذلك .

والندفع خارج القسم ، واتجه في خطوات سريعة مضطربة إلى المضمد ، ثم لم يلبث أن توقف بغتة ، ودار على أعقابهِ ، واتجه نحو السلم ، وأخذ يهبط في درجانه قفزاً ، حتى وصل إلى الطابق السفلي ، فالتفت حوله في تولر ، ونجّاهل باب الجريدة الرئيسي ، واتجه في خطوات القرب إلى العذو إلى باب جانبي صغير ، ودلف منه إلى الطريق ..

ولجأته . وقبل أن يتعد عن الباب ، ارتطمت بالحوائط المجاور له رصاصة ، وسقطت أسفل قدميه ..
لقد بدأت الحرب تستعر ، وتصيق خلفاتها حوّل غنقه ..

٦ — في قبضتهم ..

، يا إلهي ..! وماذا فعلت ؟ ..

هكذا هنتف (غلا) في جزع ، فغمغم (عصام) ، وهو يسبح جبينه بكفه ، ومازال التولر واضحاً في قسامته :

— لاشيء .. لقد نسّيت في مكانٍ خاطئاً ، وجعلني الرعب أتجمّد ، كمثال من الرعام ، ولا شك أن عيني قد جحظت ، وأنا أبحت عن النقطة التي انطلقت منها الرصاصة .
سأله (عماد) في قلق :

— ثم ماذا ؟

هزّ (عصام) رأسه لثباتاً ، وقال :

— لاشيء على الإطلاق ..! لقد توقّعت حينذاك أن تستقر في رأسي رصاصة أخرى ، وتغلّكني رُعب هائل ، ولكن شيئاً لم يحدث .

عقد (عماد) حاجبيه ، وهو يقول في تولر :

— من الواضح أنهم كانوا يحاولون إرهابك فحبب يا أستاذ (عصام) .

زفر (عصام) ، وهو يغمغم :

— لم تكن بهم حاجة إلى ذلك ، لقد كان الرّعب يسرى
في كل حلقة من حللهاى .

قالت (غلا) :

— لقد أرادوا أن يؤكّدوا لك قدرتهم على اقتناصك ، في
آية لحظة ، ولّى أى مكان .. ومن الواضح أنهم محترفون ، لقد
كانوا يعلمون أنك لن تخرج من الباب الرئيسى ، بعد أن
أثارت مكالمتهم عرفتك والفعالتك ، وأنت ستحاول الخروج
من الباب الجانبى الصغير ، فكتموا لك فى مكان يطلّ عليه .

هتف (عصام) فى خنق :

— ولكن كيف علموا من أنا ، وأين أعمل ؟

أجابته (عماد) :

— من سيارتك يا أستاذ (عصام) ؟

هتف (عصام) فى دهشة :

— سيارتى ؟

أجابته (غلا) :

— نعم .. إياهم لم يسرقوا سيارتك ، ليقفلوا بها جثة

الأجنبى إلى مكان آخر ، كما كنا نتصوّر ، وإنما ليراجعوا بياناتها
فى إدارة المرور ، ويعلموا منها اسمك وعملك .

غمغم (عصام) فى اضطراب :

— يا إلهى !!

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة قلقة ، وغمغمت

(غلا) :

— لو أردت وأيتها يا أستاذ (عصام) ، فمن نطق على أنه

من الأفضل أن تترك هذه القضية كلّها للشرطة .

غمغم (عصام) :

— أو للمخابرات العامة .

أجابته (عماد) فى صوت خافت :

— سيكون هذا أفضل .

زأن عليهم الصمت لحظات ، ثم قال (عصام) :

— أعتقد أن المخابرات العامة هى التى ستخذل هذا

القرار .

سأله (عماد) فى دهشة :

— وكيف ؟

صمت (عصام) لحظة إضافية ، ثم أجاب :

— لو أنهم وجدوا فى أسطوانة الكمبيوتر ما يستحقّ ،

فسيبتدّلون دون أن أظالمهم بذلك .

وعقد حاجبيه ، مستطرذا في تولد :
— وهذا سيحسم الأمر

أيقن (عصام) أنه لم يعان كل هذا القدر من التولد والعصية والاضطراب ، في حياته كلها ، حينما كشف أنه يقطع زُذخة منزله جينة وذهابا ، منذ ساعتين كاملتين ، دون تولد ، وتضاعف في أعماقه شعوره بخطورة موقفه ، فتمزّت في جسده قشعريرة جديدة ، وهو يصرخ في خنق :

— لماذا يختارني القدر فؤوماً مثل هذه المآزق ؟

تحلّ إليه أنه عقله عليه فأتانا :

— ربّما لأنك الشخص المناسب للتغلب عليها .

— خراء .. (عماد) و (غلا) هما فؤوماً صاحبا الفضل .

— ولكنها هذه المرّة قضيتك وحدك .

— وربّما كانت الأنيرة .

— من يدري ؟ .. لعلها الأولى .

— الأولى في ماذا ؟

— الأولى في سلسلة جديدة من التحقيقات ، تستغل فيها بنفسك .

— ومن قال إنني أرغب في الاستقلال عن (عماد)
و (غلا) ؟

— ليس من الضروري أن تعمل وحدك ، ولكن نجاحك في هذه القضية سيجعلك أكثر ثقة بنفسك وبقدراتك .

— إنني أتق بنفسى كثيراً .

— كذب .. لا تحاول أن تخدع نفسك ، لقد اعترفت منذ

لحظات بأن الفضل يعود فؤوماً إلى (عماد) و (غلا) ، وهذا يعني أنك تنظن فؤوك إلى جوارهما فأتوياً .

— ربّما كانت هذه هي الحقيقة .

— وربّما لا .. لم لا تحاول أن تكشف ذلك بنفسك ؟

— وماذا لو فعلت ، ثم دقّ جرس الباب ، ووجدت أمامى

رجلاً يطلق النار على رأسى ؟

لم يكذب بلقى هذا التساؤل ، في حوار مع عقله ، حتى دقّ

جرس الباب بالفعل ، فانتفض جسده ، وهو يتف في خنق :

— من ؟ .. من بالباب ؟

أتاه صوت هادئ من خلف الباب ، يقول :

— إنه أنا يا (عصام) .. (صالح) .. (صالح موسى) ؟

أرتفع حاجبا (عصام) في دهشة ، وهو يفهم :

— (صالح موسى) ؟

وفتح الباب في خذر ، وهو يقول في توتر :

— ولكنها أول مرة تأتي لزيارتي فيها .

ابتسم (صالح) ، وهو يقول في هدوء :

— هناك دائما بداية لكل شيء .. أليس كذلك ؟

ظل (عصام) يحدق في وجهه بمنزعج من الدهشة

والخيرة ، حتى هتف (صالح) في مزح :

— ألن تدعوني للدخول ؟

انتبه (عصام) إلى أنه يستد المدخل بجسده ، فأفسح

الطريق ، وهو يقول :

— بالطبع .. مرحبا بك يا (صالح) .

دلف (صالح) إلى المنزل مبتسما في هدوء ، وطلع إليه

وهو يقول :

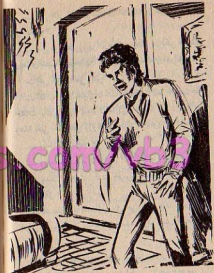
— إنك تملك منزلاً أنيقاً يا (عصام) .. أنقيم فيه

وحدك ؟

تفهم (عصام) ، وهو يغلق الباب في إحكام :

— لقد كنت أقيم فيه مع أبي ، قبل أن يتوفاه الله ، والآن

أقيم فيه وحدي .



دق جرس الباب بالفعل ، فانفض جسده ، وهو يهتف في جزع :

— من .. ؟ من بالباب ؟

جلس (صالح) ، وهو يصمم فاللاً :

— ألن تدعوني لتناول قدح من الشاي ؟

غمغم (عصام) :

— بالطبع .. ولكن

تردد لحظة ، قبل أن يسأله في نوثر :

— ما سرُّ هذه الزيارة المفاجئة بالري ؟

هزَّ (صالح) كتفيه ، وهو يقول في بساطة :

— جئت لأعبد إليك أسطوانتك .

وأخرج من جيبه أسطوانة الكمبيوتر ، وناولها

لـ (عصام) ، الذي التقطها ، وهو يسأله في لفة :

— هل رفضوا حل كودها السري ، في الاختبارات العامة ؟

عاد (صالح) يهز كتفيه ، وهو يقول في لامبالاة :

— بل لقد فعلوا .

ارتفع حاجبا (عصام) في دهشة ، وهو يهتف :

— في هذا الوقت القصير .

ابتسم (صالح) ابتسامة ، بدت في عيني (عصام)

ماكرة ، وهو يقول في هدوء :

— إنهم يمتلكون أحدث أجهزة الكمبيوتر في العالم ،

ولديهم رجال يمتلكون خبرات واسعة في هذا المجال .

هتف (عصام) في لحظة شديدة :

— وماذا وجدوا عليها ؟

مطَّ (صالح) شففيه ، وهزَّ كتفيه ، وهو يقول :

— لا شيء .. إن الأمر لم يستغرق منهم أكثر من دقيقة ،

فالكود السري مدوّن على غلاف الأسطوانة .

استعت عينا (عصام) في دهشة عارمة ، وهو يهتف :

— على غلاف ماذا ؟

أجاب (صالح) ، وهو يشير إلى الأسطوانة :

— على غلافها ، فهي مجرد لعبة من ألعاب الفيديو

الإلكترونية .

حدّق (عصام) في الأسطوانة في ذهول ، وهو يغمغم :

— لعبة ؟؟

قال (صالح) في ضيق :

— نعم .. لعبة .. ولقد سخرها مني .

عاد (عصام) يزدّد في ذهول :

— لعبة ؟؟

كاد ينفق بأنه من المستحيل أن يقتل رجل من أجل لعبة .
 مهما بلغت جودتها ، إلا أنه احتفظ بهاتفه من أعماقه ، وابتلع
 تولفده وشكوكه ، وهو يدين الأسطوانة في جيبه ، متصفا
 الهدوء ، ومعتصفا :

— نعم .. يبدو أنني قد حثلت الأمور مالا تطيق .

ابصم (صالح) ، وهو يقول :

— يبدو أن هذا ما حدث بالفعل .

ثم استطرد في مرج :

— والآن هنا .. إذا كنت تنوي دعوتي إلى فداح من
 الشاي ، العلى به ، فسبكون عليك بعد أن تتأوله أن توصلي
 إلى منزلي ، إذ أن سيارتي تمر الآن بمرحلة إصلاح .

غمغم (عصام) ، وهو يرسم على شففيه ابتسامة شاحبة :

— يؤسفني ألا أستطيع ذلك يا صديقي .. فلقد سُرقت

سيارتي فجر اليوم و

فاطحه (صالح) ، وهو ينفق في استنكار :

— سُرقت ١٢ .. أتمرح ، أم نحاول السبيل من توصيل ١٢ ؟

لقد رأيت سيارتك أمام باب البناية يا صالح .

استعت عبا (عصام) ، وهو ينفق في ذهول :

— سيارتي ١٢

وقبل أن ينس (صالح) ينفق شقة ، اندفع (عصام) نحو
 نافذة البهو ، وأطل منها على مدخل البناية ، ثم لم يلبث أن
 تراجع مضطربا .. فلقد كانت سيارته تستقر بالفعل أمام
 المدخل ، نظيفة ، لامعة ، وقد تم وضع زجاج أمامي جديد
 لها ..

كانت رسالة فهمها (عصام) على الفور ، وأدرك

معناها ..

ورسالة تؤكد أنه لن يفلت منهم ..

تؤكد أنه مازال في قبضتهم ..

في قبضة رجال حزب الخبايا ..



٧ - انفجار ..

حاول (عصام) أن يتالك جأشه ، وأن يبدو قوياً متأسكاً ، أمام (صالح موسى) ، إلا أن انفجار وجهه الشديد ، وانحطاف أطرافه الواضحة ، جعل هذا الأخير يهتز في خزع ، وهو يهزج إليه :

— ماذا هناك يا (عصام) ؟ .. ماذا حدث ؟

تطلع (عصام) إلى وجهه بعينين مذهولتين ، يطل منها الفزع واضحا ، ورأوده رغبة شديدة في أن يقص عليه الأمر كله ، ويطلب منه شرح الأمر للمخبرات العامة ، ليبحث القضية بمعرفتها ، إلا أن هذا الخطر وحده أصاب كرامته بطعة شديدة ، جعله يتالك جأشه في سرعة ، ويغمغم في ارتباك :

— لا شيء يا صديقي .. مجرد ذوار مفاجئ لحسب .

تطلع إليه (صالح) بعينين فاحصتين ، وكأنهما يحاول سنر أغواره ، وهو يسأله في هدوء :

— فقط ؟

أشاح (عصام) بوجهه ، محاولاً تفادي نظرات (صالح) الفاحصة ، وهو يغمغم في إصرار :

— فقط .

ظل (صالح) يفتح ملامحه لحظات ، ثم لم يلبث أن اجسم في هدوء ، وهو يقول :

— أهي محاولة ثانية للفرار من إيصال إلى منزل ؟

أجبر (عصام) نفسه على الاجسام ، وهو يجيب :

— لا ، يا صدي .

ثم نهض مستطرداً في مزج مُصطنع :

— ولكننا سنحاول الشئ معاً أولاً .

وانته نحو منطججه ، وهو يتم في صوت لم يبلغ مسامع

(صالح) :

— هذا كل ما يمكنني عمله الآن ..

تحدث (عصام) و (صالح) طويلاً في تلك الليلة ، وألسم حديثهما بالوذة والفاهم ، دون أن يشير أحدهما مرة واحدة - مجرد إشارة - إلى موضوع السيرة ، التي عادت تتخذ مكانها أمام منزل (عصام) ..

كان حديثهما كله يدور حول رواية (صالح موسى)

الأخيرة ، التي تحمل اسم عميل للمخابرات المصرية ، عاش نصف عمره في (إسرائيل) ، كموطن إسرائيلي ، لحساب (مصر) .. وأفاض (صالح) في الحديث ، وتطرق منه إلى الجاسوسية بوجه عام ، وراح يشرح لـ (عصام) العديد من وسائل التجسس ونقل الأسرار ، دون أن يوفق (عصام) مما إذا كان ذلك الحديث متعمدا ، أو أتبع كان من الضروري أن يقدّمهم إليه الحديث عن رواية (صالح) ..

ولولا أن (عصام) هو الذي بدأ الحديث عن الرواية ، ما انتزع من ذهنه أبدا تلك الشكوك ، التي راودته مع بداية حديث (صالح) عن الجاسوسية .. ولم يتولوا قدسها واحدا من الشاي في تلك الليلة . وإنما تناولوا أقداحا ..

لقد ظلّ الحديث بينهما متصلا ، مثيرا ، حتى وهما يتناولان معا طعام العشاء البسيط ، الذي أعدّه (عصام) ، الذي على الرغم من بقاءه يومين كاملين دون نوم تقريبا ، كان حيويًا ، نشيطًا طيلة الوقت ..

وأخيرًا أشارت عقارب الساعة إلى الحادية عشرة والنصف مساءً ، فنهض (صالح) ، وتتاب ، وهو يقول ميسفاً :

— أمية رائعة حقًا يا (عصام) ، شكرًا لك .. كم يؤمنني أننا لم نخط بها من قبل .

أراد (عصام) أن يقول إنها أمية رائعة بالفعل ، لأنها أزلت من نفسه كل ما كان يشعر به من توتر ، إلا أنه اكتفى بأن قال :

— يمكننا أن نكرّرها بالطبع ؟

هتف (صالح) في حماس :

— بالتأكيد .

ثم ابتسم ، وهو يغمز بعينه ، مستطردًا :

— والآن ، أمانت تصرّ على إبصالي إلى منزل .

صحك (عصام) ، وهو ينهض قائلاً :

— كل الإصرار .

عادا يواصلان حديثهما ، وهما يبهطان معًا في درجات السلم ، حتى بلغا سيارة (عصام) ، فطلّع إليها هذا الأخير ، وقد عاوده توتره ، وهو يقول :

— هل تصدّقي لو قلت لك إن هذه السيارة كانت مسروقة بالفعل ، وإن سارقها قد أعادها إلّي هنا ، وبذل زجاجها الأمامي أيضًا ؟

ضحك (صالح) ، وهو يقول :

— ما صدق أى شيء ، مادمت متوصلنى إلى منزلى .

البتسم (عصام) فى شحوب ، وفتح باب سيارته ، ودلف إليها ، ثم مد يده ، ليلتح الباب الآخر لـ (صالح) ، إلا أن يده تجمّدت فى مكانها ، وجمّدت عيناه فى زعب ، حينما وقع بصره على ورقة ملصقة على زجاج السيارة من الداخل ، تقول كلماتها الإنجليزية البسيطة :

— لقد أصلحنا زجاج سيارتك ، وأعدناها إليك .. ولكن حذار أن تفتح بابها ، أو تدلف إليها ، فيمجرّد أن تفعل ، سيبدأ قبلة موفوتة ، ميتة أسفلها ، فى العمل .. ومن المؤسف أن هذه القبلة تشجر بعد ثلاثين ثانية فقط من تشغيلها .. حاول أن تتحاشى ذلك .

لثلاثون ثانية ؟ ..!

كم ثانية مرّت منذ فتح باب سيارته ، ودلف إليها ؟ ..

كم بقى أمامه من وقت ؟ ..!

ودون أن يضع ثانية واحدة إضافية ، قفز (عصام)

خارج السيارة ، وصاح فى وجه (صالح) :

— ابتعد .. ابتعد بالله عليك .

صاح به (صالح) فى توتر :

— ماذا حدث ؟

لم يكن هناك وقت يكفى لشرح الأمر ، لذا فقد قفز (عصام) فوق مقدمة سيارته ، وقفز مرّة أخرى نحو (صالح) ، وجذبه إلى مدخل السيارة ، وهو يصرخ :

— ابتعد أولاً .

ودوى الانفجار ..



٨ - القاتل ..

مطأ العقيد (خيرى) شقيقه ، وهز رأسه فى خيرة ، وهو يتطلع فى أسف إلى بقايا سيارة (عصام) ، وغصم فى دهشة لم يحاول إخفاءها :

— ولكن لماذا ؟ .. لماذا يقتلون السيارة ؟

كان هناك حشد كبير من سكان الحى يحيطون به ، وعشرات الأضعاف منهم يطلون من التوافد ، على الرغم من أن عقارب الساعة كانت قد تجاوزت منتصف الليل ، لذا فقد خفى (عصام) صوته ، وهو يجب :

— كانوا يحاولون قتل .. أو إزهاق على الأقل .. ولولا أن نجحنا أنا و (صالح) فى الإحياء بمدخل البناية ، فى اللحظة الأخيرة ، لتكفل هدفهم بالنجاح .

عاد العقيد (خيرى) يهز رأسه فى خيرة ، وهو يغصم :

— كل هذا لإخفاء جريمة قتل ؟

لم ينس (عصام) أو (صالح) بيت شقة ، فرفع العقيد (خيرى) عينيه إليهما ، يتأملهما فى لحق ، قبل أن يقول لـ (عصام) :



لذا فلد فلز (عصام) فوق مقدمة سيارته ، وفلز مرة أخرى نحو (صالح) ، وجذبه إلى مدخل البناية ..

— لقد عثرنا على الأجنبي .. أو بالأحرى على جثة .

سأله (عصام) في هدوء .

— أين ؟ ..

هز العقيد (خيري) رأسه ، وهو يحيب :

— ألقاها بعضهم في النيل ، بعد أن جرّدها من كل ما يمكنه إثبات شخصية صاحبها .

سأله (عصام) في توتر :

— كيف توفّق من أنه نفس الرجل إذن ؟

لوّح العقيد (خيري) بكفه ، وهو يقول :

— إنه أجنبي ، يحمل نفس الإصابات التي ذكرتها أنت ،

رصاص في صدره ، وأخرى في مؤخرة رأسه ، فمن يكون سواه ؟

أوماً (عصام) برأسه موافقاً ، وهو يغمغم :

— إنه هو لأشك .

شاركه العقيد (خيري) إيماءة الرأس ، وقال :

— سيبدأ في البحث عن هويته ، في الصباح الباكر .

غمغم (عصام) في شروء :

— انعمم أن تنجحوا .

أجاب العقيد (خيري) في صرامة :

— سنفعل بإذن الله .

ثم أردف في حزم :

— والآن عدّ إلى منزلك ، فوجهك يُنبئ عن حاجتك

الشديدة للراحة .

تهدّد (عصام) ، وهو يقول :

— سأفعل .

ثم أشار إلى (صالح) ، مستطرداً :

— ولكن هل يمكنك إيصال (صالح) إلى منزله ؟

غمغم العقيد (خيري) في هدوء :

— لا بأس .

انضم (عصام) انضماماً شاحبة ، وهو يلتفت إلى

(صالح) ، قائلاً :

— آسف يا صديقي .. (إنني لم أعد أملك سيارة بالفعل .

رُت (صالح) على كفه ، وهو يقول في تعاطف :

— لا عليك يا صديقي .. لا عليك .

ثم سحب العقيد (خيرى) إلى سيارته ، وقبل أن يلقاها ،
التفت هذا الأخير إلى (عصام) ، وتأمله لحظة في إشفاق ،
ثم غنم في صوت يحمل روح الود والصدقة العميقين :
— كن على حذر .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :
— سأحاول :

وانطلقت السيارة مبتعدة ..

كان أول ما فعله (عصام) ، حينما صعد إلى منزله ، هو
أن أعرج الأسطوانة من حيد ، ودسها داخل أحد كعبه ،
وأعاد الكتاب إلى المكتبة ، وسط عشرات الكتب المشابهة ،
ثم وقد على فراشه ، وحاول أن يعثر على مبرر لما حدث ..
لماذا وضعوا القنبلة في سيارته ، ثم حذروه منها ؟ ..
لو أنهم أرادوا قتله ، ما تركوا له هذا التحذير ..
ولو أنهم يريدون إرهابه فحسب ، فلم جعلوا الفترة مابين
دخوله إلى السيارة ، وانفجارها ، ضئيلة إلى هذا الحد ؟ ..
لماذا يمتثلون للعب بأعضائه ؟ ..

كانت تلك السألات تدور في رأسه الخائر ، وكان
يرغب في العثور على تفسير لها في شدة ، إلا أن جفبه ، اللذين
لم يدوقا طعم النوم منذ ليلتين ، عجزا عن المواصلة ، فترخيا ،
وأغلقا عينيه ، وارتاح عقله المكدر لذلك ، فاسترخى
بذوره ، وراح (عصام) في نوم عميق ..

لم يدر كم استغرق هذا النوم ، ولكنه بالتأكيد لم يطل ..
فلقد شعر (عصام) برودة شديدة ، جعلته يتكشى على
نفسه ، ويستيقظ في تحول ، وأدهشه أن نافذة حجرة نومه
كانت مفتوحة .. فسأل في خيرة كيف تركها كذلك ،
وكيف لم يته اليها قبل نومه ؟ .. ولكن دهشته تلاشت فجأة ،
وحل محلها رغب هائل ، انفض له جسده كله ، حينما
التصقت برأسه فوهة مسدس باردة كالثلج ، وسمع صوتا جافا
يقول في صرامة ، وبعمية ركيكة :

— أين الأسطوانة ؟

واختلج قلبه في تخلف بين ضلوعه ..

مضت لحظات تمثد فيها جسد (عصام) ، وصار بارذا
كالثلج ، قبل أن يدير عينيه في بقاء ، ويتطلع إلى وجه محذله ..

كان رجلاً في منتصف الأربعينات ، واضح القوة
والغفوان ، تلوح الصرامة والقسوة في كل خلية من
خلجات وجهه العريض ، الذي يكسوه شعر أشقر قصير ،
وتبدو الشراسة واضحة في عينيه الصارمين الضيقتين ،
الزرقاوين ، على الرغم من ضوء القمر الخافت ، الذي يتسلل
إلى الحجرة ، غير نافذتها المفتوحة ..

وفي صعوبة بالغة ، غمغم (عصام) في صوت
متحرج :

— آه أسطوانة ؟
لكره الرجل بقوة مسدسة الباردة في جيبه ، وهو يقول
في غضب :

— الأسطوانة التي أعطاك إياها ذلك الوغد
(جاكوب) ، قبيل مصرعه .. أسطوانة الكمبيوتر .

غمغم (عصام) في اضطراب :
— إنها ليست هنا .. إنها في المكتب .
زجر الرجل ، وهو يقول في شراسة :
— كاذب .. لقد فتشنا مكتبك منذ ساعة واحدة ، وهي
ليست هناك .

جف لعاب (عصام) في شدة ، حتى لحيل إليه يذل
بجهدا حارقاً ليزدرد ، لأشار بأصابع مرعجلة إلى مكتبه ،
وهو يقول في صوت خافت عثيق :
— حسنا .. إنها هناك ، داخل أحد الكتب .

التفت الرجل إلى المكتب في شراسة ، وأراح فؤوه مسدسه
عن جيبه (عصام) ، وهو يتجه إليها في حركة حاذة ..
وهنا صرخت كرامة (عصام) في استكار ..
كيف يتركه يحصل على تلك الأسطوانة ، بعد كل ما بذله
من أجلها ؟

كيف يحصل بعد أن فعل كل هذا ، وبعد أن عسر
سكاته ؟ ..

ولجأة .. القصر (عصام) على الرجل من الحلف ،
وأحاط علقه بذراعه ، وهو يهتف في عثق :

— إنك لن تحصل عليها .. لن تحصل عليها ماذفث حيا .
ارتبك الرجل مع المفاجأة ، وفقد توازنه ، وكاد يسقط
أرضا ، إلا أنه استعاد تماسكه في مرعة ، ودفع مرفقه في صدر
(عصام) ، وهو يهتف :
— فليكن .. سأحصل عليها بعد مصرعتك .

احتمل (عصام) الضربة ، على الرغم من الألام
المُزجعة ، التي شعر بها ، وكال للرجل لكمة عنيفة في كتفه ،
تأوّه لها الرجل ، وصرخ في ثورة :
— أيا الحفير !!

ثم التحى إلى الأمام في سرعة ، وداوت يده خلف ظهره ،
لمسك بعنق (عصام) ، الذي وجد نفسه يتدفع إلى الأمام ،
ويتقلب في الهواء ، ثم يسقط على ظهره ، وحينما استعاد
سيطرته على نفسه ، رأى الرجل يرتكن إلى حافة النافذة ،
ويصوّب إليه مسدسه ، وهو ينف في سخط :

— أنت الذي أراد ذلك أيا الصحفي الحفير .. أنت
الذي بحث عن مصرعه في إصرار ..
وبات من الواضح أنها النهاية ..
نهاية (عصام كامل) ..

٩ — اللعبة ..

أيقن (عصام) — في لحظة من اللحظات — أن نهايته آتية
ولا ريب ، إلا أن غريزة البقاء في أعماقه ، والتي تملأ نفس كل
كائن حي ، رفضت تماماً هذا المصير .. وفي محاولة أخيرة ،
التقط (عصام) جذاء من جوار الفراش ، وقذف به في وجه
الرجل ..
كان الأمر مثيراً للضحك ، أن يواجه رجل وصاحبات
سدس بفرقة الحذاء ، ولكن هذا العالم يحمل الكثير ، مما يمكنه
أن يبر دمهياً وحليماً ..
لقد ضحك الرجل في أعماقه ، حينما قذفه (عصام)
بفرقة الحذاء ، وسخر من تلك المحاولة السخيفة ، وألقى
جسده إلى الخلف ليتفادها ، ولكن تلك الانحناء جعلت
شده العلوي يتدفع خارج النافذة ، ويفقد توازنه .. فامتد
عينا الرجل في رعب ، وحاول أن يتشبث بإطار النافذة ،
ولكن فرقة الحذاء أصابت وجهه في اللحظة نفسها ، ففقد
ماتبقى من توازنه ، وهوى جسده من النافذة ، وهو يطلق
صرخة مرعبة مفرقة ، قبل أن يرتطم بالأرض في قوة ..

وحمل (عصام) في مكانه لحظات : مذهولاً ، غير مصدق
ما حدث ، ثم أسرع نحو الناقلة ، وتطلع منها إلى جسد الرجل
المسجى أرضاً ، ولحمهم في ذهول :
— يا إلهي .. لقد نجوت .

وسرت في خلاياه ارتعاجاً ، وهو يستطرد :
— لقد أراد لي الله (سبحانه وتعالى) أن أواصل البحث .
والعقد حايه ، وهو يردف في حزم :
— وسأفعل إن شاء الله .

التي حاجبا العقيد (خيرى) في صرامة ، وهو يقول
لـ (عصام) في غضب :

— هل لي أن أفهم ماذا يحدث ؟ .. إنك تحمل الموت
والذمار في كل خطوة من خطواتك ، منذ فجر أمس .

هز (عصام) كتفيه ، وهو يقول :
— إنني أبحث أيضاً عن جواب هذا السؤال بامسادة
العقيد .

خدجه العقيد (خيرى) بنظرة حادة ، ثم مال نحوه ، قائلاً
في صرامة :



وحاول أن يعلش بإطار الناقلة ، ولكن فردة الخداه أصابت
وجهه في اللحظة نفسها ، فنقد ما تبقى من توازنه ..

— اسمع يا عَصَامُ .. لا أحد يمكنه إذهابك في حادث مصرع هذا الرجل . فمن المؤكد أنه قد اقتحم منزلك . وأراد قبلك لسبب ما . ولكن هناك نقطة تثير تساؤلي . ألا وهي : لماذا لم يستغل نومك . وبقائك على الفور ؟

انسم (عصام) . وهو يقول :

— يمكنك أن تلقى هذا السؤال على جنته .

بدا الغضب واضحاً في عيني العقيد (خيرى) . وهو يقول :

— اسمع يا عَصَامُ .. إن رجال الشرطة ليسوا أغصاء كما تصور . لقد أبغضت هذا الرجل . لأنه كان يبحث عن شيء ما فملكه أنت . ويجهل هو مكانه . شيء يتعلق بالأجناس الذي عثرنا على جنته . وهذا الشيء بالغ الخطورة . إلى الحد الذي جعل هذا الرجل يغامر باقتحام منزلك . ويؤفضك في محاولة لإجبارك على الاعتراف بمكان هذا الشيء .

مط (عصام) ضيقه . وهو يفهم :

— وثمنا .

ازداد اعتقاد حاجني العقيد (خيرى) . وهو يقول في سخط :

— إنك تلعب بالنار يا (عصام) . لقد نجوت مرتين أو ثلاثاً من موت محقق . ولكن هذا الخط لن يستمر طويلاً . وقد تلقى مصرعك : لإصرارك على إخفاء هذا الشيء .

سأله (عصام) في هدوء :

— ماذا تريد بالضبط يا سيادة العقيد ؟

هتف العقيد (خيرى) في غضب :

— أريد الحقيقة يا (عصام) .. أريد هذا الشيء الذي يبحثون عنه .

تنهد (عصام) . وهو يقول :

— وماذا لو أن هذا مسحيل ؟

تراجع العقيد (خيرى) . وهو يقول في حزم غاضب :

— في هذه الحالة سأتحلى عن الأمر كله . ولن تجدى إلى جوارك في المرة القادمة .

انطرق (عصام) برأسه . وهو يقول في أسف :

— يؤسفني ذلك باسيادة العقيد . ولكن إجابتي مازالت بالتقى .

نهض العقيد (خيرى) . وهو يقول في جدّة :

— في هذه الحالة يمكنك اعتباري مسيحياً من هذه اللعبة كلها

والدفع مغادرا المكان في غضب ، فزفر (عصام) ، وهو
يغمغم في نوثر :
— لعبة ١٢ .. ليها كانت كذلك ياسيادة العقيد .. ليها
كانت كذلك .

لغة ١٢ ..

هف (عماد) في دهشة ، قبل أن يستطرد في خيرة :
— ولكن هذا مستحيل يااستاذ (عصام) ، لا يمكن أن
تسبل كل هذه الذماء من أجل لغة على أسطوانة كمبيوتر .
أوما (عصام) برأسه موافقا ، وقال :
— إني أوافك على هذا الاستنتاج ، فلا يمكن أن يكون
مانغويه الأسطوانة مجرد لعبة .

قالت (غلا) في اهتمام :

— رُبما كان هذا ما يبدو ظاهرياً فحسب .

سألها (عصام) في الفعال :

— ماذا تخمين ؟

أسرع (عماد) بحبه ، بعد أن أدرك ماترمى إليه
شقيقته :

— رُبما كانت تبدو كلعبة ، ولكنها تحوى في طياتها
معلومات شفرية ، أو شيئا من هذا القبيل .
وأكملت (غلا) في اهتمام :
— أو أن المعلومات تبرز عند تحقيق عدد محدود من
الأهداف ، في اللعبة مثلا .

عقد (عصام) حاجيه ، وهو يقول في تفكير :

— استنتاج معقول يا صغيرى .

ثم نهض مستطردا في حماس :

— ويمكننا أن نؤكد من صحته .

سأله (عماد) :

— كيف .

ابتسم ، وهو يجيب :

— بمعاونة الأستاذ (نجدى) ، نحيرنا في عالم الكمبيوتر .

قلب المهندس (نجدى) أسطوانة الكمبيوتر بين يديه ،
ومطأ شفتيه ، وهو يقول :

— كيف لم تنبه من قبل إلى أن الكود السرى مدون على
غلاف الأسطوانة ؟

ابنهم (عصام) ، وهو يقول :

— كنت أتوقع أن تنبه أنت إلى ذلك .

عقد (نجدي) حاجبه ، وهو يقول :

— وكيف لي أن أفعل ؟.. لقد كنت تحفظ بالعلاف ،

حينما أعطيتي الأسطوانة .

وبت (عصام) على كتفه ، وهو يقول :

— لا عليك يا صديقي .. جلي من لا يخطئ .

ثم استرد لي اهتمام :

— والآن .. هل يمكنك استعادة البرنامج ؟

لؤج (نجدي) بكفه ، وهو يقول :

— بالطبع .. إن هذا من أمته الأمور .

ثم استردك في حزم :

— مادما نعرف الكود السري .

ثم دفع الأسطوانة في التجويف الخاص ، عند قاعدة

الكمبيوتر ، وضغط أزراره ، فظهرت على الشاشة نفس

العبارة السابقة ، التي تقول :

— مستعد .. مطلوب الكود السري .

أضاف (نجدي) الكود السري هذه المرة ، فانبعث من
الكمبيوتر صوت معدلي موسيقى ، وظهرت على شاشته كلمة
واضحة ملونة ، بحروف كبيرة ، تقول :

— الحركة .

ثم تراصت تعليمات اللعبة ، وعمم (نجدي) في
أذنيه :

— إنها مجرد لعبة .

كانت المعلومات المدونة على الشاشة تشير إلى الضغط على

الزر ، الذي يحمل الرقم (واحد) ، في حالة الرغبة في رؤية

تحريك مضبوطة للعبة ، وعلى الزر ، الذي يحمل الرقم

(اثنين) ، في حالة الرغبة في إزالة اللعبة نفسها ، فأسرع

(عصام) بضغط الزر (واحد) ، وهو يغمغم :

— لن نجد وقتاً للعب .. أليس كذلك ؟

لم يمس (نجدي) بيت شقة ، وإنما قلب شغفه في

استعاض ، في حين ظهرت على الشاشة صورة كمبيوتر لمسيكر

من معسكرات الجيش ، وطائرة تخوم فوقه ، وتظهر نكاته

بالمقابل ، في تناسق طريف ، تصاحبه موسيقى تأثيرية

معدنية .

وانعقد حاجبا (عصام) ، وهو يتابع اللعبة في اهتمام ، ثم
لم تلبث عيناه أن تألفتا في سعادة وظهر ، وهو يهتف :
— يا إلهي !! لقد توصلت إليها .. لقد توصلت إلى
السِّر .

١٠ — المبادلة ..

جلس (عصام) خلف مكبته ، يدون على أوراقه ذلك
الاستنتاج ، الذي توصل إليه ، في حاس متزايد ، وهو يشعر
بسعادة فائقة ، لنجاحه وحده في حل لغز هذه القضية
بالذات ..

لقد استبح أن صورة المعسكر ، التي تظهر على شاشة
الكمبيوتر ، ليست مجرد صورة تخشعانية ، وإنما هي صورة
لـمعسكر حقيقي ، يهدف دولة ما إلى مهاجمته ، وتعطيله .. أما
الظاهرة التي تنصف التكتلات ، فهي إشارة إلى الأجزاء التي
ينبغي إصابتها أولاً ..

فكرة طريقة ومبتكرة ، لنقل الأسرار العسكرية ومهريبها ..
من ذا الذي يتابع الشبكات في لعبة من ألعاب الكمبيوتر ؟
من ذا الذي يتصور أنها أحدث وسيلة للجاسوسية
الحديثة ؟ ..

واتناهب الزحف ، وهو يحطّ آخر الكلمات في استنتاجه ،
وتحلكته نشوة النصر ، حتى أنه نسي قائما خوفه من انتقام
جواسيس المخابرات الأجنبية ، ولم يعد يذكر سوى ظفروه ..



ولم يكذب انتهى من الكتابة ، حتى سمع صوت (صالح
موسى) إلى جواره ، يسأله في هدوء :
— أهو تحقيق جديد ؟

رفع (عصام) عينه إليه ، وهتف في مزاح :

— نعم .. وهو أفضل تحقيقاتي على الإطلاق .

ابسم (صالح) ، وهو يقول :

— رابع .. ولما حصلت على لقب (شيرلوك هولمز) رسمياً
بعد نشره .

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

— من يدري ؟ ربما حصلت على لقب (رجل

المستحيل) .

وطوى الورقة ، التي عليها استراحة ، وهو يردف :

— سيكون تحقيقى هذا قبلة يا صديقى ، وسيفوق

روايك الأخيرة .

اتسعت ابتسامة (صالح) ، وهو يقول :

— إلى هذا الحد ؟

لوح (عصام) بكفه ، وهو يسم (وهو) في حين ارتفع

وتين الحانف الشاور له في نفس اللحظة ، فالتفت سماعه .

ووضعها على أذنه ، وهو يقول في مزاح :

— (عصام كامل) من قسم الحوادث .. من السحذت ؟

أنافه نفس الصوت الخشن الأجل ، وهو يقول في صرامة :

— إنه أنا .

تلاشى مزح (عصام) دفعة واحدة ، والتفتد حاجباه ،

وهو يقول في توتر :

— ماذا تريد ؟

أجاباه صاحب الصوت في خشونة :

— نفس الشيء الذى فقد زميل حياته من أجله .. أريد

الأسطوانة .

هتف به (عصام) في حزم :

— مُحال .. لن تحصل عليها أبداً .. لقد انتصرت أنا في

هذه المعركة .

حل الصوت الكثير من السخربة ، حيناً قال صاحبه :

— هل تظن ذلك ؟

أجاباه (عصام) في نخد :

— بل أوقن منه .

ثم أردف في ضامة :

— لقد عرفت ما الذى تحويه الأسطوانة .

قال صاحب الصوت في سخرية :

— هكذا ؟

ثم أردف في شراسة مفاجئة :

— اسمع أيها المبيح .. إن ذكائك ، الذي عياها به ،

يدو بالنسبة لنا أشبه بكاء حشرة وضعة ، في مواجهة عالم
ذرة .

غمغم (عصام) في خفق :

— أيها الوجد .

لم يلبث على الرجل أنه قد سمع تعليق (عصام) ، وهو

يستطرد :

— إنك تحوز الأسطوانة .. أليس كذلك ؟ .. حسناً ..

إنني أعرض عليك مبادلتها بشيء ثمين .

هتف (عصام) في جذّة :

— متخال ، حتى ولو عرضت على كل أموال الأرض .

أجابته الصوت في سخرية :

— ومن قال إنني أنوي أن أفعل ؟

ثم استعاد خشونة وقسوته ، وهو يردف :

— إلى أعرض عليك رُوخين .

الرجف جسد (عصام) ، وهو يغمغم في خيرة :

— رُوخان ؟

أجابته الصوت في شراسة :

— نعم .. إنني أعرض عليك رُوخين صديقك

الصغيرين .. (عماد) و (غلا) .

تجمدت مشاعر (عصام) لحظة ، على عكس جسده ،

الذي انفض في قوة ، وعجز صوته عن مفارقة حنجرته

لحظات ، وحينما نجح ، جاء مرتجفاً ، محتبلاً ، وهو يقول :

— أهى متطورة حقيرة أخرى ؟

أطلق صاحب الصوت ضحكة ساخرة مقيمة ، قبل أن

يقول :

— بل حقيقة أيها الدكي .. لقد راقبك طويلاً ، ورأيتك

تلجأ إليهما كلما واجهتك مشكلة ، وعلمنا أنهما صديقك ،

وبعد أن تبييت في مصرع زميلنا ، قررنا أن نستخدمهما

لإجبارك على إعادة الأسطوانة إلينا .

غمغم (عصام) في صوت مرتجف متخاذل :

— أنت كاذب .

عاد الرجل يطلق ضحكته الساخرة ، قبل أن يقول :

— هكذا ١؟.. لِمَ لا تاتَّكَلُ إذن ؟.. إنك لن تجدَها في منزلها ؛ ولا في مدرستِها .. فقد اختطفتَهما من أمامِها ، وتحفظُ بهما لدينا ، ولن نعيدهما إليك إلا بعد أن نحصل على الأسطوانة .

ثم (عصام) في خُزَع :

— حذار أن تمسَّهما بسوء .

قال الرجل في شراسة :

— هذا يتوقَّف عليك أيها الذكي .

أورد (عصام) لعابه في صوبة ، قبل أن يغتم في الخافض :

— ماذا تريد ؟

أجابه الرجل في حزم .

— الأسطوانة .

غتم (عصام) في مرارة :

— أين ؟.. ومتى ؟..

أجابه الرجل :

— بعد ساعة واحدة ، في قبلاً سأميك عنوانها .

أسرع (عصام) بدوّن العنوان ، الذي أملاه عليه الرجل ، ثم قال في صوت يشقُّ عن تولُّده :

— سأحضر إليك في الموعد ، ولكنك لن تحصل على الأسطوانة ، قبل أن أرى (عماد) و (غلا) .

أجابه الرجل في سخرية :

— اطمئن .. ستراها .

ثم استدرك في صرامة :

— ولكن إنك أن تلجأ إلى الخداع ، فستقتل الصبي ،

إذا ماتتِ رقت إلينا ذرَّة واحدة من الشك .

غتم (عصام) في ألم :

— لن أفعل .

أطلق الرجل ضحكته الساخرة مرَّة أخرى ، ثم أتى الاتصال ، فوضع (عصام) سماعة هاتفه في بطنه ، وهو يتطلَّع إلى الفراخ في مرارة ، وانتبه فجأة إلى أن (صالح) مازال جانيه ، حينما سمعه يسأله في اهتمام :

— ماذا هناك يا (عصام) ؟

انفض جسده في دُعر ، وهو يلتفت إليه هاتفًا :

— لا شيء .. لا شيء . إنه مجرد موعد ، لا يكمل لي من الوصول إليه بأسرع وسيلة ممكنة .

عقد (صالح) حاجيه ، وهو يدفعم :

— موعد ؟

هتف (عصام) ، وهو يدمر الأسطوانة في جيبه ، ويدفع إلى الخارج :

— نعم .. نعم .. موعد عاجل .

لم يعمل وجه (صالح) أى الفعل ، وهو يراقب (عصام) الذى احتل خارج القسم في سرعة ، ثم مد أصابعه يداعب الوردية ، التى دون عليها (عصام) استناده ، والتى تركها خلفه ، والنقطة (صالح) ، وقرأ محتوياتها في سرعة ، ونغم في هدوء :

— عظيم .

وهنا فقط ارتسمت على شفتيه ابتسامة غامضة ..

١١ — وجهًا لوجه ..

لم يستطع (عصام) منع تلك الفسقية ، التى سرت في جسده ، حيناً هبط من سياره الأجرة التى ألقته ، أمام تلك القفلا المنعزلة ، في (المقطم) ، وعلى الرغم من أن الشمس كانت تشرق في ذلك اليوم ، وتغمر المكان بضوئها ، إلا أن القفلا بدت له مخيفة ، وهى تقف وحدها في منطقة خالية من المباني تقريباً ..

ولقد ظل واقفاً في مكانه ، حتى ابتعدت سياره الأجرة ، وانخفضت في منحى بعيد ، ثم قارم بحوفه ، واتجه نحو القفلا ، وهو يمسك الأسطوانة داخل جيبه في قوة ..

ولم يكذب بغير حذيفة القفلا الصغيرة ، حتى فتح رجل ضخمة الجنة بابها ، وعرف (عصام) صوته على الفور ، حيناً قال في خشونة ، وبصوت أجش ، وبلغة عربية ذات لكنة أجنبية :

— أين الأسطوانة ؟

قال (عصام) في صرامة :

— أين (عماد) و (غالا) ؟

عقد الرجل حاجبه في حدة ، وهو يقول :

— أرى الأسطوانة أولاً .

أخرج (عصام) الأسطوانة من جيبه في بطة ، وتألفت

عينا الرجل ، وهو يتطلع إليها ، ولكن (عصام) قبض عليها

ببعضه في قوة ، وهو يقول :

— يمكنني أن أهنئها بصفطة واحدة .

زجر الرجل ، وهو يقول في صرامة ووحشية :

— ستكون كمن يوقع شهادة وفاته .

تقدم (عصام) ، وهو مازال يقبض على الأسطوانة

ببعضه ، قائلاً :

— لن أسلمك إياها ، إلا بعد أن أتأكد من سلامة

(عماد) و (غلا) .

رفع الرجل مسدسه في وجه (عصام) ، وبدأ من

الغضب ، الذي ملأ ملامحه ، أنه سيطر النار على رأسه ، إلا

أنه لم يلبث أن سيطر على انفعاله ، وهو يقول :

— حسناً .. إنها بالداخل .

تقدم (عصام) إلى داخل القبلا في لحظة ، وتعلق بصره

بـ (عماد) و (غلا) ، اللذين يحرسهما رجل ضئيل

الجسد ، واللذين استقبلاه بتظرات ارتياح ، فأمرع إليهما

بأسلحهما في لحظة :

— هل أنتما بخير ؟

— أؤمّا برأسيهما إيجاباً ، فهتف الرجل الضخم في لحظة

تشف عن نفاد الصبر :

— هات الأسطوانة .

ازداد (عصام) تشبهاً بالأسطوانة ، وهو يسأله في تولر :

— ما الذي تضمن سلامتها ، بعد أن أسلمت الأسطوانة ؟

هتف الضئيل ، الذي يصوب مسدسه إلى (عماد)

و (غلا) ، في عصبية :

— يمكننا أن نقتلك الآن لو أردنا .

هتف (عصام) في حزم :

— هذا لا يجيب عن سؤالي ، فيمكنني أن أجد الوقت

الكافي : لتحويل هذه الأسطوانة إلى ثنات ، حتى لو أطلقت

النار على رأسي مباشرة .

زجر الضخم ، وهو يقول بعريته الركيكة :

— ماذا تريد بالضبط ؟



زفر الفخيم في ضيق ، ثم صوّب مسدّسه إلى زامن (عصام) ..

أجابته (عصام) في حزم :

— أى شيء يتضمن سلامتنا .

زفر الفخيم في ضيق ، ثم صوّب مسدّسه إلى رأس

(عصام) ، وهو يقول في غضب :

— اسمع يا هذا .. الشيء الوحيد الذي يمكنني أن أضمنه

لك ، هو أنني سأطلق النار على رأسك بعد دقيقة واحدة ، مالم

تسألني هذه الأسطوانة سليمة ، وأريد منك أن تعلم أننا لن

نقيد شيئاً من فلك ، أو قتل الصيّن .. فكل ما سنفعله بكم

هو أن نقيّدكم هنا في إحكام ، بعد أن نحصل على الأسطوانة ،

فستعود إلى دولنا بعد ساعتين فقط ، والطائرة لن تخطونا

لحظة واحدة إضافية .

تردّد (عصام) لحظة ، ثم ناوله الأسطوانة ، وهو يقول

في ضيق :

— يبدو أنك لا تترك لي الخيار .

اخطف الرجل الأسطوانة في لحظة ، وأسرع بها نحو

كمبيوتر يحتل مكاناً من أركان بهو القلعة ، ودسّها في مخبوف

خاص أسفله ، وضغط أزراره ، فظهرت على شاشته العبارة

التقليدية ، التي تقول :

— مستعد .. مطلوب الكود السري .

عاد الرجل يضغط أزرار الكمبيوتر في خفة ، ولكن شاذة الكمبيوتر ظنّت تحمل العبارة نفسها ، بالإضافة إلى كلمة أخذت تضيء وتحرق ، وهو يقول :
— كود خاطئ .

احتقن وجه الرجل ، وعاد يضغط الأزرار مرة أخرى في عصبية ، ولكن الكلمة ذاتها استمرت تتألق وتحرق في إصرار ، فالتفت الرجل إلى (عصام) في غضب هادر ، ورفع مأسسه في وجهه ، وهو ينفخ :

— أيها اللعين .. صدفع حياتك فثنا لهذا الخطأ .
شحب وجه (عصام) ، وهو يغمغم في اضطراب :
— أي خطأ ؟ .. لقد أحضرت لكما الأسطوانة نفسها .
اندفع الرجل نحو في ثورة ، وجذبه من قميصه ، وهو يصبح في غضب :

— أيها الكاذب الخفي .. أين الأسطوانة الأصلية ؟
هتف (عصام) في حيرة وعصبية :
— أقسم لك أنها الأسطوانة الأصلية .. ربّما أعطأت أنت الكود السري !

صاح الرجل في غضب عيف ، وهو يلصق فؤاده مأسسه بحبة (عصام) :

— أين الأسطوانة الأصلية ؟

غمغم (عصام) في دُعر :

— أقسم لك إن هذه

قاطعه (عماد) في هدوء :

— لا تقسم كذبا يا أستاذ (عصام) .

التفت إليه (عصام) في جزع ، وهو يقول :

— ماذا تقول يا زعماد ؟

أجابه (غلا) في نوتو :

— إنها ليست الأسطوانة الأصلية يا أستاذ (عصام) .

تخلّى الضخم عن (عصام) ، وأسرع نحو (علا) ، يسأها في عصبية :

— أين الأسطوانة الأصلية إذن ؟

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة تُفغمة بالعال ، قبل أن

يحيب (عماد) في حزم :

— في إدارة المخبرات العامة .

١٢ — مفاجأة المفاجآت ..

لم يكذب (عماد) بنطق عبارته الأخيرة ، حتى ارتد الضخم مصغوقاً ، وشحب وجهه إلى حدّ تحيل ، في حين امتنع الضئيل في شدة ، وتدلّت فكّه السفل في بلاهة ، قبل أن يغتمم في رُعب :

— في إدارة المخبرات ١٢

هتف (عصام) في أوتباع :

— (عماد) ١٢... (غلا) ١٢... ماذا تقولان ؟ إنكما لا تدريان معنى عبارتكما .

أجابته (غلا) في حزم :

— بل نذكره غامفاً يا أستاذ (عصام) .

شحب وجهه ، وهو يقول :

— هل .. هل سرفتها الأسطوانة الأصليّة ؟

أجابته (عماد) :

— كلاً يا أستاذ (عصام) .. أنت بنفسك سلّمت الأسطوانة الأصليّة للمخبرات العامة .

ازداد شحوب وجه (عصام) ، وهو يغتمم :

— يا إلهي ... ماذا تقول ؟

قالت (غلا) في حزم :

— هذا صحيح يا أستاذ (عصام) .. لقد أعطيت الأسطوانة الأصليّة للأستاذ (صاخ موسى) ؛ ليحاول فكّ كودها السريّ في إدارة المخبرات .. ولقد أعادها إليك الأستاذ (صاخ) ، أقصد أعاد إليك أسطوانة ، ولكنها لم تكن الأصليّة ، بل أسطوانة أخرى ، تحوى لعبة عادية ، ولكنها تشبه غامفاً الأسطوانة الأصليّة .

هتف (عصام) في دهشة :

— ولكن لماذا ؟

أجابته (عماد) :

— لأن إدارة المخبرات العائمة نجحت في التوصل إلى الكود السريّ ، للأسطوانة الأصليّة ، وأدرك خبثها على الفور خطورة ما تحويه من أسرار ، فقرّروا أن يحفظوا بها ، ويعيدوا إليك أخرى ، دون أن يخلّوا بذلك .

عاد (عصام) يغتمم :

— لماذا ؟

أجابته (غلا) :

— حتى تظل مفتتحة بآئك تحوز الأسطوانة الأصلية .

صاح الضخم فجأة في قسوة :

— من أخير كما هذا كله ؟

أجابته (عماد) في هدوء :

— لا أحد .. إنه استعاج محض .

هتف في دهشة :

— استعاج ؟؟

ثم صوّب مسدسه إليها ، وهو يهتف في غضب :

— لن تنجح تلك الخدعة السخيفة ، أريد أن أعرف أين

الأسطوانة الأصلية ؟

أجابته (غلا) في جدّة :

— ألا تفهم ؟.. قلنا لك إنها في الخبايا العائنة .

صاح في غضب :

— إنها خدعة ولا شك .. فلماذا تعيد الخبايا أسطوانة

أخرى إلى هذا الصحنى ، مادامت قد استعادت الأسطوانة

الأصلية ؟

أجابته (عماد) في لهجة أقرب إلى السخرية :

— لأنها الوسيلة الوحيدة للإيقاع بكم أيها الذكي .

انتفع وجها الرجلين ، وعميق الضئيل في رغب :

— للإيقاع بنا ؟.. هل تعنيان أن ... ؟

قاطعه (غلا) في حزم :

— وهل كنت تظن أنا مسخاطر يكشف كل هذا الأمر

أمامك ، لولا ثقنا في أن التقارير العائنة المصرية قد تبعت

الأسناد (عصام) إلى هنا .

بادل الرجلان نظرة ارتياح ، ثم رفع قهوة مسدسه نحو

رأس (عماد) و (غلا) ، وصاح في غضب جوى :

— إذن فقد فشل كل شيء .. ولكنكم لن تخرجوا من هنا

أحياء ، ولو كان هذا آخر ما أفعله في حياتي .

وانطلقت رصاصة مسدسه ..

لم يكذب (عصام) يلمح ذلك الجاسوس الضخم ، وهو

يصوّب مسدسه إلى رأس (عماد) و (غلا) ، حتى تلاشي

من نفسه كل الحرف والتولر والجرع ، وبقيت في أعماقه

عاطفة واحدة ..

خوفه على (عماد) و (غلا) ..

ودون تفكير .. ودون أدنى قذرة من التردد ، انقض (عصام) على الضخم ، وأمسك معصمه ، ورفع يده عاليًا ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصة ، التي انحطت هدفها ، ومرقت فوق رأسي (عماد) و (غلا) ، لتسقط في معدة الضئيل ، الذي اتسعت عيناه في ألم وذهول ، وسقط مسأسه من يده ، وهو يصيح بعبارات تحمل كل دهشته ، بلغة لم يفهمها أحد ، سوى ذلك الضخم ، الذي لكم (عصام) في فكّه ، وهو يصرخ بنفس اللغة وقاوم (عصام) الأم الذكيمة في سالة ، وتثبت معصم الضخم ، بمنعه من إطلاق الرصاص مرة أخرى ، ودفع كل إصراره وقوته ، ورجلته في إنقاذ (عماد) و (غلا) إلى قبضته ، وهوى بها على فك الضخم ، الذي تأوّه في سخط ، وعاد يلكم (عصام) في معدته مرة .. وأخرى ، ثم أعقبهما بلكمة قوية على فكّه ، أرغمته على ترك معصمه ، وألقته أرضًا ، على بعد أمتار منه ..



انقض (عصام) على الضخم ، وأمسك معصمه ، ورفع يده عاليًا ، في نفس اللحظة التي انطلقت فيها الرصاصة ..

وفي ثورة هائلة، صوب الضخم مسدسه إلى رأس (عصام)،
وقبل أن يندفع (عماد) و (غلا) نحوه، في محاولة يائسة
لمنعه، كان قد أطلق النار ..



١٣ - الاقتحام ..

جزء من الثانية، كان هو الحيط الفاصل، بين حياة
(عصام) ومصرعه في تلك اللحظة ..

جزء من الثانية، التحم فيه رجال المخابرات المصرية
القبلاً، وأطلقوا النار على الضخم، فطاشت رصاصته، وهو
يصرخ ألماً ويرجع في رغب، ثم لم يلبث أن تناسى آلام جرح
كفبه، وهو ينفق في دُعر، رافعاً ذراعيه في استسلام ..
ومهللت أساور (عماد) و (غلا)، في حين اتسعت

عين (عصام) في ذهول، وهو يهتفم:

— يا الهي!.. لقد نجوت ..

بعض في صعوبة، فاستقبله وجه شاب وسيم، قملاً ابتسامته
وجبه، وهو يقول:

— حمدا لله على سلامتكم يا أستاذ (عصام) .. لقد قمتم
بعمل رائع حقاً ..

سأله (عصام) في جدّة:

— هل لنا أن نتعارف أولاً ؟

اتسعت ابتسامة الشاب، وهو يمدّ يده، لمصافحته،
فقال:

— (محسن فوز) ، من اخبارات المصروفة .
صافحه (عصام) في برود ، ثم هتف في جدّة :
— هل لي أن أعلم لماذا تعددت اخبارات استغلال على هذا النحو ؟

رفع (محسن) حاجبيه ، وهو يهتف في ذهنة :
— استغلالك ؟

ثم اتعدد حاجباه ، وهو يستطرد :
— إنك مصري بأستاذ (عصام) ، وتدرك خطورة ودقة العمل ، الذي نقوم به ، ولقد فعلنا ما ينبغي فعله ، للإيقاع بزعماء شبكة جاسوسية ضخمة ، انزعجت من قبل العديد من أسرارنا .

ولمّح بكفّه ، وهو يردف :
— كلنا نخطو بأرواحنا في ميل هدف واحد ..
(مصر) .. وكل ما نبذله من أجلها لا يساوي ما تبذله هي من أجلنا .

تضرج وجه (عصام) بخمرة الحجل ، وهو يقول :
— بالطبع .. ولكنني كنت أتمنى أن أعرف طبيعة الدور ، الذي أعبه ، مسبقاً .

اتسم (محسن) وهو يقول :
— معذرة ، ولكننا كنا نخشى ألا تكفي أداء الدور ، ولقد فضلنا أن نتركك تتصرف على نحو طبيعي .
ثم استدرك في سرعة :

— وكل هذا للمصلحة العامة بالطبع .
أجابته (عصام) في حماس :
— بالطبع .

ثم هز كتفيه ، وهو يقول :

— ولكن هذا يدعيني في الواقع ، فلم أتصور أبدا أنها حرب بين تخائراتنا وتخائراتهم .. لقد تصوّرت أنها حرب بين جهازى تخائرات أجيبين .

اتسم (محسن) ، وهو يقول :

— أسبب الأجنبي ، الذي لقى مصرعه في البداية ؟
غلبهم (عصام) :

— نعم .. هذا صحيح .

هتفت (غلا) في حماس :

— لقد كان ذلك الرجل جاسوساً مزدوجاً بالأستاذ

(عصام) ، يعمل في صفوف المخابرات الأجنبية لحساب
(مصر) .

حذق (محسن) في وجهها بدهشة ، وهو يتف :

— يا إلهي .. كيف عرفت هذا يا صغيري ؟

أمرع (عماد) يقول :

— إنه أمر بسيط يا أستاذ (محسن) .. فلقد كان ذلك

الجناسوس الضخم يعرف الكود السري ، اللازم لمعرفة كل
المعلومات والأسرار ، التي تحويها الأسطوانة ، في حين أن هذا

أمر عسير ، بالغ الصعوبة ، كما قال خير الكمبيوتر الأستاذ
(نجدي) ، ولي حين أن الضخم أحد من قتلوا الأجنس ،

ويسعون للحصول على الأسطوانة أيضًا ، وهذا لا يتألى إلا
في حالة واحدة .

أكملت (غلا) في سعادة :

— أن يكون الأجنس القليل عميلًا مفردًا جدًا ، وأنه كان

يحاول استعادة الأسطوانة من الجواسيس ، وليس تسليمها إلى
جهة أجنبية .

هتف (عصام) ، وقد لاحظت له الحقيقة لأول مرة :

— يا إلهي .. إذن فقد كان يريد أن يطلب مني تسليم
الأسطوانة إلى المخابرات المصرية .

هز (محسن) رأسه في خيرة ، وهو يقول :

— هذا صحيح .

ثم تطلع إلى (عماد) و (غلا) ، وهو يسأل (عصام)

في دهشة :

— كيف يفكر أن هذا الأسلوب ؟

ابسم (عصام) ، وهو يقول :

— إن حما عقلية تفوق عمرهما بعشرات السنين .

عاد (محسن) يهز رأسه في دهشة ، ثم ابسم وهو يقول :

— لا خوف على (مصر) إذن ، ما دامت تضم مثلهما

بين أبنائها .

ثم التفت إلى (عصام) يصفحه ، وهو يقول :

— شكرًا مرة أخرى يا أستاذ (عصام) .. إن (مصر)

تدين لك بفضل كبير .

صافحه (عصام) في ارياح ، وهو يقول :

— إني لم أفعل سوى ما يجليه علي الواجب يا سيد

(محسن) .

هبط (صالح موسى) في إعجاب ، وهو برئت على ظهر
(عصام) في حرارة :

— تحقيق رائع يا (عصام) .. إنك ستفوقني هكذا في عالم
الخبايا يا صديقي .

ابسم (عصام) وهو يقول :

— مستحيل .. أنت أستاذ في هذا المجال .

رئت (صالح) على كتفه مرة أخرى ، وهو يقول :

— أنت أيضا تستحق الأستاذية ، بعد تحقيقك العظيم

هذا .

مال (عصام) نحوه ، وهو يقول :

— لست أقصد عالم الأدب يا صديقي ، وإنما أقصد

براعتك في تلك اللعبة ، التي كنت أنا ضحيتها .

تتهاد (صالح) ، وأطرق بوجهه لحظة ، ثم قال في جدية :

— لقد كنت أؤذى واجبي مثلك يا صديقي .

ابسم (عصام) ، وهو يقول :

ابسم (محسن) وقال :

— هذا ما تنتظره (مصر) من أبنائها .

واستدار ليتصرف ، إلا أن (عصام) استوقفه ، قائلاً :

— لحظة يا أستاذ (محسن) .. هل يمكنني نشر هذا

التحقيق ؟

اتسعت ابتسامة (محسن) ، وهو يقول :

— بالطبع يا أستاذ (عصام) .. ولكننا نراجعهُ أولاً في

إدارة الخبايا .

ثم غمز بعينه ، وهو يستطرد في مَرَح :

— يكفي أن تفقد سيارتك .. أليس كذلك ؟



— لقد كان حديثك عن الجاسوسية في منزلي مقصوداً ..

أليس كذلك ؟

أوماً (صالح) برأسه إيجاباً في محجل ، فعاد (عصام)
يسأله في قلبي :

— وماذا عن صديقك ؟

هتف (صالح) :

— إنها حقيقية .. ولقد أمتعتني تلك الأسمية حقاً ..

سأله (عصام) في اهتمام :

— هل يعني ذلك أنك تنوى تكرارها ؟

هتف (صالح) في حماس :

— بالطبع .

ثم ابتسم وهو يناول (عصام) سلسلة مفاتيح صغيرة ،

مستطرداً :

— أنا الآن ، فأنا مكثف حل هذه الهدية إليك .

تطلع (عصام) إلى المفاتيح في دهشة ، وهو يقول :

— أية هدية ؟

اتسعت ابتسامته (صالح) ، وهو يقول :

— هدية مغامرات (مصر) ، لواحد من أبناء (مصر) .

حذق (عصام) في المفاتيح مرة أخرى في دهشة ، فأمسك
(صالح) ذراعاً في رقبتي ، وقاده إلى النافذة ، وأشار إلى
أسفل ، قائلاً :

— ها هي ذى .. هل تروك ؟

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يبتف في سعادة :

— يا إلهي !! .. إنها سيارة بالغة الأناقة .

قال (صالح) :

— والهداية .. إنها من إنتاج هذا العام ، وما زال عذاد

المسافات فيها يشير إلى الصغر .

غمغم (عصام) مشدوهاً :

— يا إلهي !!

رئت (صالح) على كفه ، وهو يقول في وُد :

— صدقني يا صديقي .. إنك تستحقها عن جدارة .

ثم سأله في اهتمام :

— أتى اسم تنوى أن تطلق عليها ؟

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— وهل هناك بديل ؟.. إنها سيارتي الثانية .. سيارة
(عصام كامل) الثانية .

والسعت ابتسامته ، وهو يزدف في مَرَج :

— إنها لتحق عن جدارة اسم (ع × ٢) .

v.liilas.com/

[تحت محمد الله]

رقم الإيداع / ٢٥٤١١